أجاثا كريستي
المصيدة
مكتبة معروف

اجاثا كريستى

المصيدة

عرض وتلخيص

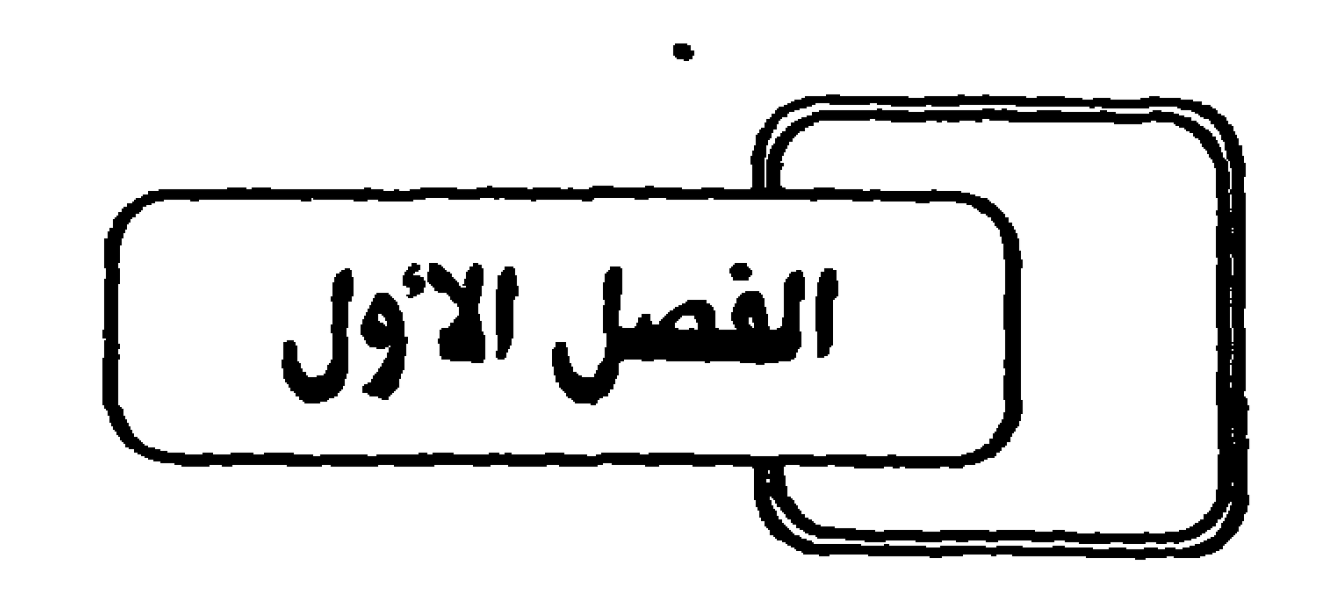
عمرو يوسف



مكتبة معروف

الإدارة : ٨١٠٨٢٨/٦ ٤٨٤٦١١٢٤ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة : ٣٦١١١٢٢٩ ص.ب ٣٧٠ الإسكندرية



الفصل الأول

لم يكن " مايلز جيسون "، رئيس مكتب المخابرات السرية يعلم أن دخول أبرع عملائه وأكثرهم دهاء وأوسعهم حيلة سوف يقلب الأمور رأساً على عقب ويصيبه بتلك المفاجأة المدهشة التي زلزلت كيانه وجعلته يشعر أنه يعيش في وهم كبير .

كان هذا العميل يعرف.. كما هي العادة .. برقم.. مجرد رقم وهو ٣٢٦ .

أعلن السكرتير " فنسان " ، قدوم العميل السرى المعروف برقم ٣٢٦ ، فلم يكن مسموحاً في هذا المجال بالتعامل بالأسماء ، بل مجرد أرقام .. تنحى السكرتير جانباً وأشار للزائر بالدخول .

لم يتمالك " مايلز جيسون "، رئيس مكتب المخابرات نفسه من الفرح بقدوم خير رجاله وإن لم تظهر على وجهه من دلائل الفرحة سوى ابتسامه باهته قلما جاد بها لأحد من رجاله .. وكان على وشك أن يلقى إليه بكلمة ترحيب مقتضبة قبل الدخول في تفاصيل تلك المهمة الثقيلة التي سيكلف بها رقم ٣٢٦ ، والتي فشل فيها من قبل عدد كبير من أمهر رجاله رغم كل ما

اتخذ من احتياطات وترتيبات معقدة لضمان نجاحهم والاستخفاء عن عيون عدوهم المجهول .

ولكن المفاجأة عقدت لسانه وتوقفت كلمات الترحيب فى حلقه .. فقد رأى مالم يتوقعه ولم يحدث من قبل فى مكتبه .. ثم انقلب سروره إلى غضب .

بمجرد أن تقدم الزائر الوسيم خطوة واحدة إلى داخل الغرفة حتى عاد على الفور ليسدد لكمة هائلة بقبضته القوية إلى فك السكرتير الضئيل الجسم "فنسان" .. ليهوى هذا الأخير إلى الأرض ، وعلى الفور وقبل أن يفيق السكرتير أو مدير المكتب من دهشتهما البالغة وثب رقم ٣٢٦ فوق "فنسان" وقبض على معصمه بقوة ثم دس يده بداخل كمه ، وفى لمح البصر كان يحمل فى يده آلة تصوير فى غاية الدقة والاتقان لم تعرفها أوساط المخابرات بعد !!.

كانت مفاجأة مذهلة "لمايلز جيسون" الذى أدرك سر السلوك الشاذ الذى سلكه رقم ٣٢٦ وجعله يسىء فهم دوافعه .

قدم رقم ٣٢٦ ، الكاميرا الدقيقة إلى رئيسه وقال بكلمات لاذعة تحمل كل معانى التهكم والسخرية :

– بمجرد أن جاءتنى رسالتك التى ترجونى فيها الإسراع إلى هنا لمقابلتك واتخاذ كافة الاحتياطات الضرورية للتخفى حتى لا يعرفنى أحد من العملاء المنتشرين حتى بدأت فى تنفيذ خطة شاقة للغاية لتنفيذ هذه التعليمات .. وعلى الفور استأجرت غرفة فى أقذر الأحياء بالمدينة وتركت لحيتى وارتديت ملابس الرعاع حتى أصبحت أبدو كالخنزير القذر ،

فلا يمكن لأحد أن يعرفنى ولوكان أقرب الناس إلى .. بل إن أبرع عملائك من المستحيل عليه أن يعرف حقيقتى وأنا على هذه الصورة الكريهة .

وقد فعلت كل هذا لأجلك رغم أننى كنت قد قررت اعتزال هذه المهنة كما تعلم ، وكان قراراً حاسماً ولكننى اعتدت دائماً أن أطيعك ولا أعصى لك أمراً .. ولكننى بمجرد أن دخلت إلى مكتبك حتى تفضل هذا المخلوق التعس الذى وضعته فى وظيفة السكرتير الخاص بالتقاط صورة لى بواسطة هذه الكاميرا الدقيقة والتى لا أعرف كيف وصلت إليه .

ومن المؤكد أنه سوف يعطيها إلى أعدائك المجهولين إلى الآن حتى يأخذوا حذرهم منى ويتخذوا من الاجراءات ما يكفل لهم إزاحتى عن الطريق كما فعلوا مع الكثيرين .

أدرك " مايلز جيسون " ، إبعاد الموقف بسرعة وبخبرة رجل المخابرات الذى قضى سنوات وسط هذه الأعمال المعقدة والمؤامرات الرهيبة ، راح يفحص الكاميرا الدقيقة ، ولكنه لم يستطع أن يتمالك نفسه وانفجر غاضباً وهو يهز سكرتيره "فنسان" ، الذى كان ملقى على الأرض يسيل خيط رفيع من الدم على جانب فمه .. وصاح بغضب :

– أيها القذر من الذى ابتاعك ؟ من الذى دفعك للتجسس علينا أيها الكلب الحقير ؟ : أريد أن أعرف لحساب من تعمل !!.

في هذه الأثناء راح رقم ٣٢٦ ، يتأمل الكاميرا الدقيقة الموضوعة فوق المكتب ويفكر في هذا الجاسوس الضئيل الجسم ويتساءل عن أبعاد هذه العملية التي بدأت بداية مفاجئة

كانت ملامح "فنسان" تحمل كل معاني القلق والخوف .. ورغم ذلك كانت عيناه تلتمعان كحيوان خبيث وقع في شرك . ثم تحولت نظراته إلى التهكم والسخرية من الرئيس الذى انفجر بركان غضبه وصرخ فى وجه "فنسان" قائلاً :

- لابد أن أعرف من الذى اشتراك أيها الحقير .. لن أدعك حتى أعرف الحقيقة .

وكانت المفاجأة حينما رد "فنسان" ببرود قائلاً :

- لو ألقيت هذا السؤال ألف مرة فلن تسمع له جواباً .. تعساً لك .. إنك تكاد تحطم ذراعى .. ولكن حتى إذا حطمته فلن تظفر منى بشيء مهما فعلت .

كان من العجيب أن يبدى هذا الرجل الضئيل الجسم البادى الضعف والهزال كل هذا الإصرار والبسالة والدهاء .. لم يكن "جيسون" يتخيل ذلك أبداً .

أما "فنسان" ، فقد استعاد هدوءه وراح يبادل رئيسه نظرات هى مزيج من الكبرياء والتهكم والاستخفاف بكل تلك التهديدات ، كما شعر الرئيس وعميله رقم ٣٢٦ أن هذا الرجل ليس ممن يمكن اغراؤهم بالوعود البراقة ولا تؤثر فيهم الكلمات المعسولة .. فهو لن يتكلم ولو رأى الموت بعينيه .

لقد كان للعمل فى المخابرات مزايا خطيرة أهمها الوصول إلى حقيقة كل شخص والنفاذ إلى كنهه ومعرفة حقيقته بسهولة .

وإزاء هذه البسالة التى أبداها "فنسان" لم يكن هناك بد من استخدام

العنف لعله يجدى معه ويحل عقدة لسانه . فما يقدر على تحمل وسائل التعذيب الرهيبة التى يستخدمها جهاز المخابرات إلا النادر من العملاء .

ضغط "جيسون" ، على أحد الأزرار .. وبعد لحظات أقبل اثنان من الرجال مفتولا السواعد لهما هيئة مخيفة وقفا أمامه خاضعين فى انتظار الأوامر .

قال "جيسون" :

- القيا القبض على هذا الرجل .

وعلى الفور نفذ الرجلان الأمر واقتادا الرجل إلى خارج الحجرة وقبل أن يخرجا صاح "جيسون "بصوت جاف قائلاً :

- "فنسان " .. لقد قضى عليك بالموت لا محالة .. فلا سبيل أمامك للنجاة إلا بذكر اسم الرجل الذى اشتراك وجعلك تعمل لحسابه .. لا تنس أهلك وأسرتك .. إذ كان يهمك أمرهم وشرفهم فعليك أن تبوح باسم هذا الرجل ونحن على استعداد للوقوف بجانبك .

ولدهشة الجميع هز "فنسان" كتفيه استهانة واستهزاء وقال بسخرية لاذعة :

- لا تحاول .. عليك أن تبحث عن هذا الرجل بنفسك .. ولك الويل إذا أنت عرفته !!.

ثم حمله حارساه وانصرفا بينما كان الجاسوس ينظر تجاه رقم ٣٢٦ .

***

ما كاد رقم ٣٢٦ يستوعب الموقف حتى قال لرئيسه

- ترى من يقصد هذا الرجل ؟ من ذلك الرجل الذى أغراه بالتجسس علينا وجعله شديد الولاء له ؟! .

فصاح "جيسون" غاضباً

- هل تسألنى أنا ؟ : لو كنت أعلم ماكان موقفى هكذا ولم أرسل إليك لتأتينى على وجه السرعة ولما صار أمرنا على ما نحن عليه اليوم .. إن الجميع يسخرون منا بعد أن هزأ بنا عدونا الرهيب .. نعم إن أولى الأمر هنا يتخذوننا مادة للسخرية ويعتبروننا نموذجاً للفشل ، أما الجهور فلا يخفى انعدام ثقته بنا بعد كل ما منينا به من فشل .

- إننا نواجه غريماً جباراً لا يرحم ، وهو شديد القوة والثقة .

- ولكنك أنت الذى ستوقع به .. نعم ستعرفه ثم تقبض عليه .. هذه هى مهمتك باختصار يا رقم ٣٢٦ ، هل عرفتها الآن ؟!.

تطلع رقم ٣٢٦ ، إلى رئيسه وهو يحك رأسه ثم ابتسم وهو يقول :

- ولكننى لم أفهم كل شىء بعد .

إزداد غضب "جيسون" وهو يسمع كلمات مرؤوسه ولكنه تذكر حقيقة كانت غائبة عنه .. فاستعاد هدوءه وقال بلهجته الهادئة :

- حقاً .. لقد فاتنى أن أهنئك بسلامة العودة .. فقد انقضى عامان منذ رأيتك لآخر مرة ، وعلمت أنك قمت برحلة حول العالم .. فهل استمتعت برحلتك ؟

– أشكرك ياسيدى .. نعم .. كانت رحلتى ممتعة للغاية ولكنها كانت خالية من أية مغامرات .. والآن فلندخل إلى صلب الموضوع .. لكن عليك أن تمدنى بأقصى قدر من المعلومات التى يمكن أن تساعدنى فى هذه المهمة ويبدو لى أنك تواجه عدواً جباراً ولكنه مايزال مجهولاً عنك تماماً .. لا تعرف حقيقته ولا مقرة وهو يحبط جميع خططك ويفشى أدق أسرارك ، كما أنه محاط بشبكة هائلة من المساعدين والأعوان الذين يعرفون الكثير ويقدمون له أجل المساعدة .

قال "جيسون" بلهجته الهادئة :

– لقد أصبت فى قولك .. فلهذا الرجل أعوان لا نعرف عددهم ولا أماكنهم .. فهم كثيرون .. وهم يعرفون الكثير والكثير ، وعندما قبضنا على بعضهم متلبسين بالسرقة والاطلاع على أدق أسرارالدولة والقتل وغيرها من الجرائم الخطيرة كنا نرسلهم إلى السجون وسط حراسة مشددة ورقابة صارمة ، ورغم كل هذه الاحتياطات كانوا يموتون فى سجنهم بطرق عجيبة يكتنفها الغموض قبل أن نحصل منهم على أية معلومات قد تهدينا وسط هذا الظلام الذى نتخبط فيه .

إننى أكاد أحسد هذا الخصم الجبار الذى نواجهه .. فهو يملك من الوسائل مالا نملك ويكفى أن لديه رجالاً يضحون بأنفسهم فى سبيله ولا يبوحون بأسراره أبداً ..

إننا لا نعرف شيئاً عن هذا الرجل .. أى شيء .. شكله أو اسمه أو مقره بل إننا حتى لا نعرف هل هو مجرد رجل أو أنهم مجموعة من الأشخاص أو عصابة منظمة من المحترفين أو جمعية سرية .. ولكن ما يجب أن ندركه

جيداً أننا إذا لم نضع حداً لنشاط هذا الرجل فى أقرب وقت ممكن فسوف تحدث مشاكل سياسية رهيبة قد تؤدى إلى اندلاع حرب مدمرة .

كان رقم ٣٢٦ يتابع رئيسه بكل جوارحه بينما استطرد الرجل قائلاً :

– وأشد مايؤلمنى أنا ومن يعملون معى أن نرى أدق أسرار الدولة وأخطر ملفاتها تتسرب من بين أيدينا وتخرج من خزائننا المحكمة وسط ما تعلمه من حراسة مشددة نفرضها عليها .. لتستقرفى أيدى هذا العدو الخفى .. فما تكاد الحكومة تبرم اتفاق سرياً أو معاهدة حتى تكون نصوص هذه الاتفاقات قد وصلت إلى أيدى الأعداء الذين نحرص أشد الحرص على إبعادها عنهم .. بل إن هذا يحدث فى أقل من ساعة من توقيع الاتفاق !! هذا عدا الضحايا الكثيرين من الحراس والأمناء على هذه الأسرار الذين يلقون حتفهم .

فى الأسبوع الماضى قتل أحد رجالنا المخلصين بالرصاص وسرقت الوثائق التى كان يحملها إلى إحدى السفارات وكانت على قدر عظيم من الخطورة والأهمية .. إن الأمر أصبح بالغ الخطورة ولم تعد هناك أسراراً نخفيها .. كل أسرارنا مكشوفة مباحة للجميع .. والمجرمون يمرحون ويتصرفون كما يحلو لهم ونحن عاجزون عن معرفتهم .

والآن بعد أن عرفت كل هذه الحقائق المفزعة فهل تقبل المهمة التى عرضتها عليك وتوافق على خوض النضال الرهيب لكشف عدونا الجبار؟!.

نظر رقم ٣٢٦ إلى "جيسون" بشىء من الدهشة وقال :

– ولماذا تسألنى ؟

- أولاً لأنك ألمانى الجنسية فلا أعلم وجهة نظرك بعد فربما كان لديك من الأسباب ما يجعلك ترفض ، ثانيا لابد لك أن تطالع .. ما فى هذا الدفتر .

ثم فتح أحد أدراجه وأخرج منه دفتراً صغيراً وضعه على المكتب ثم قال بأسى :

- عليك أن تقف حلال مطالعتك لهذا السجل ، فهو يحوى أسماء شهداء الواجب والبطولة الذين ضحوا بحياتهم من أجل الوصول إلى حل هذا اللغز المعقد .

أخذ رقم ٣٢٦ يقلب فى صفحات الدفتر فوجد فى كل صفحة صورة لرجل فى عنفوان الشباب وتحت كل صورة بعض الكلمات ..

رقم ١٧ قتل بيد مجهول .

رقم ٩٠ اختفى فى ٢٥ سبتمبر فى ظروف غامضة وما يزال مصيره مجهولاً .

رقم ١١٥ مات غرقاً .. ويرجح أنه كان ضحية لمؤامرة محكمة .

رقم ١١٨ تعرض للرعب الشديد فأصيب بالجنون .

رقم ١٦٤ مات منتحراً دون أن تعرف الأسباب وترك رسائل مكتوبة بشفرة لم ينجح أحد فى فك رموزها بعد .

رقم ١٩٥ مات محترقاً داخل أحد الفنادق وقد وجد باب الغرفة مغلقاً من الخارج بالمفتاح .

رقم ٢٠٨ قتل بالرصاص بيد مجهول .

رقم ٢٥٦ قتل بطعنة بخنجر وتم القبض على القاتل الذى انتحر بواسطة السم فى سجنه قبل موعد محاكمته .

رقم ٢٥٩ قتل فى حادث تصادم على الطريق ومن الواضح أن الحادث مدبر .

تنهد "مايلز جيسون" وقال بأسى :

– ما رأيك .. إنها قائمة شيقة بلا شك !!.

– فهل يمكنك قبول المهمة بعد كل ذلك ؟! إنك الآن قد أدركت مدى الخطورة التى تعرض لها نفسك بالقبول .. فإنك سوف تكون عرضة للقتل فى كل لحظة وفى كل مكان وعليك أن تكون فى غاية الحرص .. فأنت تواجه عدواً خفياً شديد الغموض .

إننى أثق فيك أشد الثقة وأعلم مدى ذكائك وشجاعتك .. ولكننى برغم ذلك أنصحك بالتفكير مراراً قبل أن تجيب .

ولكن رقم ٢٣٦ ، هز كتفيه استخفافاً بعد أن أغلق الدفتر الذى يحتوى على أسماء الضحايا وقال :

– ولكن ألم يترك أحد من هؤلاء الضحايا المساكين أية مذكرات أو حتى مجرد أدلة يمكن أن نسترشد بها فى مهمتنا ؟!.

– كلا .

– من الواضح إذن أنها مهمة شيقة للغاية .

– نعم فهى مهمة قد يفقد فيها الانسان حياته أو عقله أوهما معاً !!

ابتسم رقم ٣٢٦ ابتسامة مشرقة وقال بلهجة ساخرة :

– إنني أقبل التضحية بحياتي وعقلي .. وإنني أقبل القيام بالمهمة ، فما هي الأوامر التي تصدرها لي ؟.

– لن أصدر إليك أية أوامر .. نعم .. عليك أن تفعل ماتراه صائباً وأن تبذل قصارى جهدك .. ولكنني أطلب منك فقط أن تكتب التقارير بالشفرة التي يجب أن يتم تغييرها كل ثلاثة أيام .. ولا تنس ضرورة عدم الاتصال بي تليفونياً .. وأرسل البرقيات إلى صندوق البريد رقم ٣٩ .. ولكن ماذا عن أوراق اثبات الشخصية .. هل لديك هذه الأوراق ؟.

فأشار رقم ٣٢٦ برأسه بالايجاب .. فاستطرد "جيسون ":

– حسن جداً .. عليك الآن أن تنصرف من الباب الخلفي للمبنى وهو الباب رقم ١٧ .. ولا تنس أن تجعلني أعرف محل إقامتك دائماً .

– لن يكون هذا الأمر سهلاً دائماً .. إنني معروف حالياً باسم "كلاوس هنري شلوسلاين ".. من "كولونيا" .. وحالياً أقيم مع خادمي" فرنسيس" في الجناح رقم ١٩ بفندق "أوليمبيا" .

فتساءل "جيسون "في دهشة :

– أعد علي اسمك مرة أخرى ..

– فابتسم رقم ٣٢٦ وهو يقول مبتسماً :

– "هنري شلوسلاين" .. إنه اسم معقد وطويل أليس كذلك ؟.. ولكنني اخترته لغرض في نفسي .. فإن لا أحد من الإنجليز يستطيع أن ينطقه

صحيحاً .. فما رأيك ؟!.

ولا تنس أن لى أسماء كثيرة وعناوين متعددة .. فإذا أردتنى لأمر ما فما عليك إلا أن تتصل "بفرنسيس" خادمى .. وهو رجل أمين شديد الإخلاص يمكنك أن توليه ثقتك .

ألقى "جيسون" نظرة فاحصة إلى رقم ٣٢٦ وقال :

- وأخيراً قل لى .. هل تربطك علاقة بأحد النساء ؟.

وعلى الفور قال رقم ٣٢٦ :

- كلا .. وأحمد الله على ذلك .

- ولكن .. هل تنوى الزواج خلال الشهور الستة القادمة على أقل تقدير أو أن هذه الفكرة يمكن أن تراودك ؟! .

فقال الجاسوس وهو يضحك :

- ثق تماماً أن هذه الفكرة لم تخطر لى على بال .

ظهر الارتياح واضحاً على وجه "ما يلزجيسون" وقال :

- إننى لا أعترض مطلقاً على زواج أحد من العاملين معى ، بل إن الزواج أفضل فهو يجعل الرجل أكثر حرصاً على عمله ، ولكن فى حالتك وفى مهمتك تلك فإن الزواج لا يصلح لك حتى لا تخلف وراءك أرملة كما ترك زملاؤك الراحلون ، فمازالت زوجاتهم .. يطالبننى بأزواجهن ولا يردن الاقتناع بأنهم رحلوا .. فلا دليل مادى ولا جثث تدل على الوفاة .

فقال ٣٢٦ :



الفصل الثانى

كانت الليدى "اليانور ليسلين" تبدو كالزهرة الندية والثمرة الناضجة بجمالها العظيم وأناقتها البادية .. فهى ترتدى ملابسها تبعاً لأحدث خطوط الموضة ، كما تهتم بكل جديد وطريف .. تحيا كل لحظة من عمرها وتستمتع بشبابها كما يحلو لها .. اتهمها زوجها السير "روجر ليسلين" ، بالسفه والإسراف لضخامة نفقاتها ولهواياتها المدمرة ولكنها لم تأخذ هذا الاتهام على محمل الجد .

دخلت الليدى "اليانور" إلى بنك "والتون" الفخم الذى يقع فى مبنى حديث رائع التصميم يكاد يشابه الليدى فى أناقتها وجمالها .. ولذلك فقد تمنت كثيراً أن تقيم بدار تماثل هذا المبنى بدلاً من القصر القديم العتيق الذى يقيم به آل "ليسلين" .

من الطبيعى أن تشعر الليدى "اليانور" بالراحة والسعادة فى بنك "والتون" الذى تضم خزائنه مبلغاً ضخماً يخصها لم تتمالك نفسها وهى تدخل إلى الصالة من تأمل الزخارف والنقوش البديعة والزجاج الملون والأرضية اللامعة والحواجز النحاسية البراقة .

بعد أن أعطت للموظف المسئول الشيك الذى تحمله عاد يحمل إليها مبلغاً كبيراً من المال تناولته منه الليدى برشاقة وأنعمت عليه بابتسامة ساحرة خلبت لب الموظف فجمد فى مكانه وهو لا يرى أحداً غير هذه المرأة الرائعة الفاتنة .. ولكنه أفاق لنفسه وقال لها :

- إن مستر "والتون" يرجو أن تتفضلى بمقابلته الآن بخصوص بعض الإجراءات البسيطة .. حسناً .. إن الطريق من هنا .

ثم فتح لها باباً صغيراً .. وتقدمها فى الممر الطويل فسارت خلفه وهى تحمد الظروف التى سوف تتيح لها مقابلة هذا الثرى الكبير الذى لم تراه قط .. فهو مريض منذ مدة طويلة ولم يحضر الحفلات التى كانت تقيمها فى قصرها .. فيالها من فرصة طيبة للتعرف بمستر "والتون" صاحب بنك "والتون "العريق .

ولكن شيئاً غريباً حدث لليدى "اليانور" بمجرد أن دخلت الغرفة الفخمة التى دعاها الموظف لدخولها وهى غرفة سير" والتون" .. لقد تبدل شعورها فجأة من المرح والسعادة إلى الاكتئاب والنفور .. لم يكن مبعث هذا الشعور كآبة الغرفة .. كلا فقد كانت الغرفة كباقى مبنى البنك رائعة الجمال أنيقة الأثاث حسنة الذوق .. لقد شعرت بالانقباض والغم عندما وقع نظرها على سير "والتون".. كان الرجل مقعداً فوق مقعد متحرك ومن خلفه امرأة أكبر منه سناً تحركه .

انقبض قلبها وتلاشت الابتسامة الرائعة من فوق شفتيها وهى تنظر تجاه جل الذى كان شيئاً ما فى نظراته ينفرها ويسبب لها الضيق .

أشار لها الرجل أن تجلس على أحد المقاعد .. فجلست وهى تكاد تتعجل اللحظة التى تخرج فيها من هذه الغرفة .. التزمت الصمت فى إنتظار ما سيلقى به السير "والتون" .

وأخيراً انساب صوت خافت ذى وقع شديد يقول :

- إننى أرغب فى عقد صفقة معك ياليدى" ليسلين" .

لم تعقب الليدى على ذلك ولكنها رفعت عينيها فالتقت بعينى المرأة التى تقف خلف مقعد "والتون" فحاولت أن تبتسم ولكنهاعجزت .. ربما كانت تلك أول مرة فى حياتها تفشل فى الابتسام !! .

قال "والتون" :

- لا داعى للقلق من " بيترا " ، فهى صماء لا تدرك مما نقول شيئاً ورغم ذلك فيمكننى أن أصرفها إذا كانت تلك رغبتك .

ولكن الليدى هزت رأسها نفياً وقاطعته قائلة :

- إننى لا أفهم كيف أعقد معك صفقة .. فأنت رجل كثير الأعمال .

فى اللحظات التى أعقبت كلماتها شعرت شعوراً قاتلا بالخوف والرعب .. كان شعوراً طاغياً لم تستطع منه فكاكاً رغم محاولاتها التفكير فى شىء آخر .. ولكن لماذا تخاف من هذا الرجل المحطم العجوز المقعد ! .

لا .. إن صمته وعينيه العجيبتين هم أسباب خوفها دون شك .

دعاها هاجس بداخلها أن تلوذ بالهرب من وجه هذا الرجل ، لابد من الهروب قبل أن تفقد وعيها .. ولكنها قبل أن تسترسل فى أفكارها سمعت

الصوت الناعم الخافت الذى يشى بضعف صاحبه يقول :

- سيدتى الليدى .. فى الأسبوع المقبل سوف يتم توقيع معاهدة على جانب عظيم من الأهمية بين بريطانيا العظمى واليابان .. وهى معاهدة تنظم الأمور الدفاعية والهجومية ، سيتم هذا التوقيع فى دار السفارة اليابانية .. ومهمتك هى موافاتى باليوم والساعة التى سيتم فيها توقيع المعاهدة .. إنها مهمة ليست صعبة عليك . فأنت زوجة سير "روجر ليسلين" .

تنفست الليدى "اليانور ليسلين" الصعداء بعد أن أدركت تفاهة ما يطلبه هذا الرجل المريض المقعد وكأن حملاً ثقيلاً قد أزيح عن صدرها .. فعادت إليها ثقتها فى نفسها وهى تتصور أن هذا الرجل مخبول يلقى الكلام على عواهنه .

فنهضت والابتسامة تعلو شفتيها وقالت بهدوء :

- من الواضح أنك جننت يا مستر" والتون" .

ولم تزد على هذه الكلمات وشفعتها بنظرة أودعتها كل معانى الاحتقار والازدراء ثم اتجهت بثقة صوب الباب الذى دخلت منه إلى الغرفة .

ولكنها قبل أن تبلغ الباب جاءها مرة أخرى الصوت المخيف وهو يقول :

- من الواضح أنك لم تفهمى الأمر على حقيقته ياسيدتى الليدى "ليسلين" ولكن يجب أن تعلمى أننى إذا لم أعرف موعد توقيع المعاهدة خلال ثلاثة أيام منذ الآن فسوف يعلم السيد "ليسلين" أين تقضى زوجته الفاضلة أمسيات الثلاثاء والجمعة من كل أسبوع .

زلزلت الأرض تحت أقدام الليدى "اليانور" .. وشعرت كأن الأرض قد

فغرت فاها لتبتلعها، فهى تهوى فى بئر سحيق بلا قرار .. لقد تجمد الدم فى عروقها وأظلمت الدنيا أمام ناظريها .. وشعرت أنها سوف تفقد وعيها ..

ولكنها أدركت دقة موقفها أمام هذا الشيطان المقعد أمامها .. وأنها إذا فقدت وعيها فسيعد هذا من علامات التسليم والقبول بالهزيمة .. ولذا رأت أنه لا مناص أمامها من محاولة التماسك والنضال حتى النهاية .

استجمعت كل قوتها وصوبت نظرات تفيض بالحقد نحو مستر "والتون" ثم قالت بصوت لايمت إلى صوتها الرقيق بصلة :

– ما الذى تعلمه عنى .. أريد أن أعلم .. تكلم .

قال الرجل بصوته الهادئ القاتل وهو يبتسم تلك الابتسامة الكريهة :

– إن ما أعرفه لكثير .. كثير جداً يا سيدتى الليدى .

عاد القلق والخوف يعصفان بالليدى وشعرت بالحلقة تضيق حول عنقها ولكنها تشبثت بمحاولة النجاة والدفاع عن نفسها فصاحت قائلة :

– إنك كاذب .. نعم أنت كاذب ولا تعرف عنى شيئاً على الإطلاق ولا يمكنك أن تضعنى تحت رحمتك ولا أن تبتزنى بهذا الأسلوب الحقير .. إنك تريد أن تقوم بخدعة حقيرة وهى لعبة مكشوفة .. ولكن صبراً فسوف أجعل زوجى السير "روجر" ، يحاسبك حساباً عسيراً ، فهو لا يصدق أحداً غيرى .

ولكن الصوت الناعم المخيف أجاب :

– إذا كان زوجك يصدقك يا سيدتى فلابد أنه سيصدق عينيه أكثر مما يصدقك .. وسيدرك كذبك يا سيدتى .

ثم أخرج من جيبه صورة فوتوغرافية قدمها إلى الليدى التى نظرت إليها وهى ترتعد .. ها هى الحلقة تضيق حول عنقها .

كانت الصورة تمثلها فى موقف غير لائق لا تقبله أى امرأة فضلاً عن زوجة السير "روجر ليسلين" .. كانت الصورة واضحة تمام الوضوح لا يمكن تبريرها بالسكر أو فقدان الرشد .. بل هى صورة بشعة مشينة .. مخذية .

لم تكن حين التقطت لها هذه الصورة ثملة ولكنها كانت تعانى حالة أسوأ من ذلك .. كانت تحت تأثير المخدرات فى مغارة " ين شانغ " ، ذلك الصينى الشيطان الذى استطاع اجتذابها إلى وكره الحقير بواسطة إحدى صديقاتها من نساء الطبقة الراقية !!.

لقد أطلعتها هذه الصورة التى التقطت لها خفيه على حقيقة بشعة لم تكن تدركها .. لقد شاهدت نفسها فى أسوأ صورة وهى تحت تأثير المخدر الذى يجعلها تحلق فى أجواء من النشوة والمتعة .. ولكنها لم تكن تعلم أنها تبدو فى هذه الاثناء على هذه الصورة المقيتة كأحط نساء الشوارع وأقذر الحيوانات .. يا إلهى هل هذه "اليانور" الراقية الارستقراطية !!.

ظلت "اليانور" تحملق فى الصورة البشعة دون أن تفوه بكلمة .. كأنها لا تصدق ما تراه أمام عينيها بينما ظل "والتون" يراقبها بهدوء وهو ينفث دخان سيجارته .

كان يراقبها بعينيه ويرصد ما تظهره من انفعالات .. فيبدو كأنه الصياد الذى أوقع بفريسته فى شباكه .. فهو واثق من نجاحه فى مسعاه بعد أن أحكم التدبير .

وهو بحكم خبرته الطويلة كان يدرك أن رد فعلها سيكون إطلاق صرخة ألم يعقبها محاولة العبث بالصورة وتمزيقها أو وطأها بالأقدام فقال بهدوئه القاتل :

– أرجو ألا تحملي نفسك مشقة تمزيق الصورة يا سيدتي الليدي .. فالأصل لدينا ومنه يمكن أن نطبع منها آلاف النسخ .

كانت "اليانور" مقتنعة تمام الاقتناع كما تعلمت من نساء طبقتها الارستقراطية أن من العار على المرأة أن تسلم بالهزيمة وتستسلم لمن يحاول ابتزازها كما أن عليها ألا تظهر الضعف وألا تفقد اتزانها مهما حدث ولكن الأمر كان مختلفاً تماماً .. فهي لم تتصرف تصرف امرأة راقية مهذبة والصورة خير شاهد على ذلك .. فكيف تواصل النضال ؟.

فكان لابد من الطريق الآخر .. أخذت تتوسل إلى الرجل وتضرع إليه بكل ما تعرفه من كلمات الرجاء والضراعة والتوسل .. كانت تلك المرة الأولى في حياتها التي تقف فيها هذا الموقف المذل وهي تتوهم أنها قادرة على أن تحرك مشاعر الرجل وتجعله يستسلم أمام ضعفها وجمالها وخضوعها وأن تحول قسوته إلى شفقة ورحمة .

ولما رأت الرجل ثابتاً لم يختلج له جفن فتحت حقيبتها وأخرجت مابها من أموال ثم وضعتها بين يديه وقدمت له دفتر الشيكات وقالت وهي تستعطفه :

– إليك كل ما أملك .. خذه .. خذه كله .

فابتسم الرجل ابتسامة مستهزئة وقال بسخرية :

- أتعرضين عليّ أموال ؟ إن ما لدى منه يفوق ما يملكه أغنياء العالم .. فلا حاجة بى إلى أموالك ..

كان من الجنون حقاً أن تعرض أموالها على هذا الرجل وهى تعلم أنه صاحب مصرف "والتون" التى تودع فيه أموالها .. ولكنها كانت فى حالة من اليأس دفعتها إلى سلوك كل طريق لتشترى سكوت هذاالرجل وإلا فضحها وقضى عليها تماماً .

لابد أن تشترى سكوت هذا الرجل بأى ثمن .. لا.. لن يعلم زوجها بشىء مما تفعله فى هذه السهرات المشئومة.. ولن تنفذ ماطلبه منها "والتون ".. إن مايطلبه خطير للغاية .

لم يعد أمامها أسلحة بعد أن كاد اليأس يغلبها إلا سلاح أخير وخطير.. إنه سلاح الأنوثة .. وهى لا تفتقد منه شيئاً .. بل أن ابتسامتها تلك كانت كفيلة بفتح مغاليق القلوب وبإشارة واحدة من يدها كان يتبعها عشرات الرجال ذوى المناصب والجاه والسلطان .. إذن فلابد من استعمال سلاح الأنوثة .

راحت تتقدم صوب الرجل بدلال وهى تبتسم له ابتسامة تحاول أن تودعها كل دلالها وفتنتها.. ورغم ذلك فقد شعرت أن ابتسامتها جاءت باهتة تعيسة .. ولكنها كانت واثقة من قوة تأثيرها ومضاء أسلحتها الفتاكة وأن الرجل سيلقاها بشهامة ويتحول عن موقفه .. ولكنهادهشت حينما وجدت تعبيرات وجهه مازالت قاسية وصارمة و تلقت صدمة مروعة حينما نظر إلى ساعته وقال :

– للأسف يا سيدتى إنك لست من النوع الذى يمكنه اجتذابى .. فإنك تضيعين وقتى الثمين سدى .

شعرت الليدى بصدمة عنيفة .. كانت الطعنة أليمة لكبريائها .. ولكنها كانت فى موقف صعب للغاية .. فلابد أن تواصل النضال حتى النهاية وتطرق جميع الأبواب .

نظرت صوب المرأة التى تقف خلف مقعد "والتون" وخاطبتها بضراعة قائلة :

– سيدتى ألا تشعرين بى ؟ لما لا تحاولين مساعدتى .. إنك امرأة مثلى وتدركين ماذا يمكن أن يحدث لى .

ولكن ماذا كانت تتوقع الليدى" اليانور" من امرأة بكماء صماء ؟! ظل وجهها جامداً كأنها تمثال من الرخام لا حياة فيه ولا حركة .. حتى دموع "اليانور" ووجهها الحزين الباكى لم يحدثا أدنى أثر لدى هذه المرأة الصلبة .

وأخيراً بعد أن فشلت أخر محاولاتها ألقت "اليانور "بنفسها على المقعد الذى نهضت منه منذ قليل .. ولكن فكرة طارئة راودتها .. لم لا تعترف بكل شىء لزوجها السير" روجر ليسلين" .. نعم لابد أن تعترف له .. إنه يحبها وسوف يحبها برغم كل شىء وسوف يتفهم ظروفها ولابد أن يغفر لها ويقدر أن كل ما أتته كان نتيجة لضعفها .

ولكنها تذكرت شيئاً قلب تفكيرها رأساً على عقب .. فان زوجها رجل مثالى ولن يرضى بأن تظل زوجته تتعاطى هذا المخدر .. فلابد أن يعمل

على منعها من تعاطيه وحرمانها من متعتها المفضلة إلى الأبد وذلك بإدخالها إحدى المستشفيات ووضعها تحت رقابة صارمة فلا تتعاطى المخدر إلى الأبد !! ..

لم يدعها سير "والتون" لتأملاتها طويلاً إذ قال بلهجة قاطعة :

– سيدتى .. إنك تضيعين وقتى بلا طائل .

لم تعد لدى الليدى "اليانور" القدرة على النطق بكلمة أخرى .. لقد تحطمت كل محاولاتها على صخرة هذا الشيطان المروع الذى ذاقت على يديه الذل والهوان مالم تعرفه طوال حياتها .

نظرت إليه نظرة مختلفة تماماً .. كانت نظرة المرأة التى تحلم بالنشوة والسعادة .. نعم .. فاليوم كان الثلاثاء موعد تعاطى المخدر فى مغارة "ين شانغ" .. وهو موعد لا يمكن بحال من الأحوال أن تهمله .. فقد أصبح من ضرورات حياتها .. لابد الليلة من الذهاب إلى المغارة لتدخين الأفيون مهما حدث .

فى المرة الأخيرة أخبرها "ين شانغ" ، أن الأفيون على وشك النفاذ ومن المؤكد أنه قال ذلك حتى يحصل منها على المزيد من الأموال فهو يعلم أن لديها الكثير والكثير من المال وأنها لن ترفض أن تعطيه ما يطلبه حتى يهيئ لها سبل السعادة ويجعلها تحلق فى سماء الأحلام .

نهضت من جلستها ثم جمعت نقودها بهدوء دون أن تتفوه بكلمة ، كان السير "والتون" يعلم أنها قد استسلمت له فأصدر إليها أوامره فتلقتها فى خضوع ولم تعقب .

ثم غادرت الغرفة التى تحطمت فيها كبرياؤها .

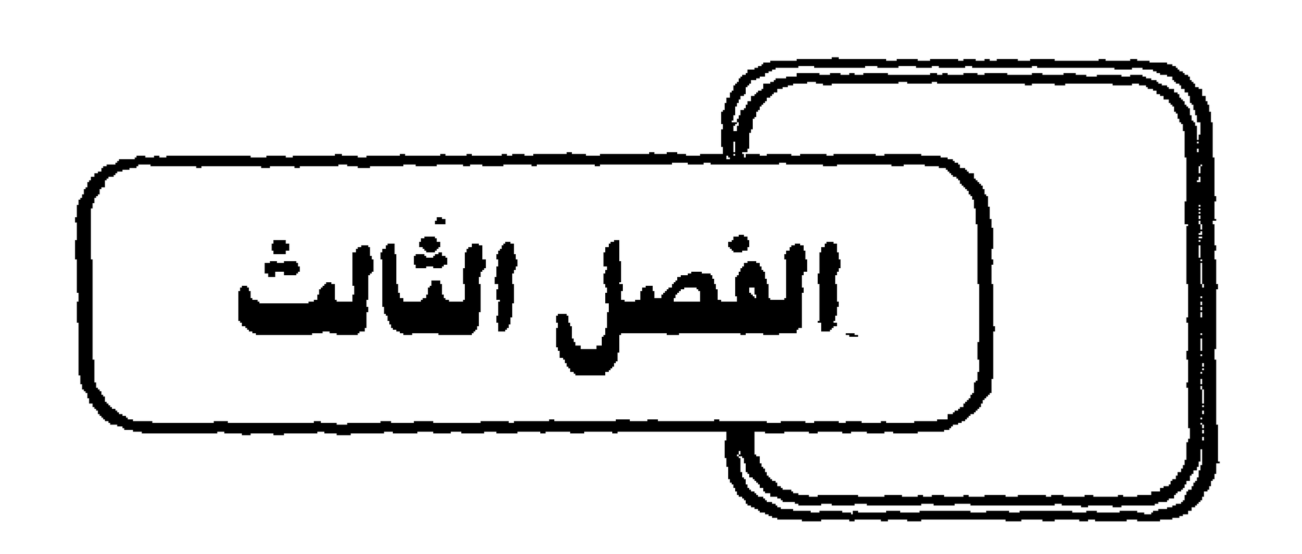
بمجرد خروج "اليانور" وقفت المرأة الصماء والبكماء أمام "والتون" وقالت بصوت يخالجه العطف وينطق بالألم :

– لقد تعاملت معها بجراءة شديدة .

لم يجب "والتون" على ملاحظتها بل قال بهدوئه المعتاد :

– أرجو أن تستدعى "سونيا برانيكوفا" لمقابلتى .. أريد أن أصدر إليها بعض الأوامر .

***



الفصل الثالث

لم يعرف رقم ٣٢٦ تماماً ما الذى أيقظه من نومه العميق .. كان صوتاً لم يدرك كنهه أو مصدره .. ربما كان صياح شخص ما أو صوت طائرة تحلق عالياً فى سماء لندن بل وربما كان صياح أحد الغلمان .. لم يدرك شيئاً ولكن عندما حاول النوم مرة أخرى فشلت كل محاولاته .

تذكر تلك المهمة الرهيبة التى ألقت على عاتقه وما يحيط به من أخطار مروعة .. كان الخطر يتهددنى فى كل لحظة وفى كل مكان .. حتى الهواء الذى يتنفسه كان يشم فيه رائحة الخطر .. ولكنه كان يتصرف بطريقة مختلفة تماماً عن زملائه .. لم يحاول دفع هذا الخطر بل ترك نفسه لمواجهته مع التزام أعلى درجات الحذر والحرص فى كل لحظة .. وها هو يستيقظ من نومه العميق نتيجة لصوت مجهول التقطته أذناه وهو نائم وربما كان هذا الصوت لا يعنى شيئاً .

قرر السير فى خطته المرسومة وأن يدع كل شىء للظروف .

غادر مسكنه ثم انطلق إلى فندق "أوليمبيا" وراح يصعد سلم الخدم متجهاً

إلى غرفته وهو شديد الحرص ألا يراه أحد من الخدم .

بعد قليل كان يطرق باب الجناح الذى يشغله تحت اسم "هنرى كلاوس شلوسلاين " .. كانت طرقاته على الباب بطريقة خاصة وعلى الفور فتحه الخادم "فرنسيس" الذى ماكاد يطالع وجه سيده وهيئته العجيبة ولحيته الطويلة وثيابه الرثة حتى ظهرت على وجهه علامات الدهشة .

ورغم ذلك فقد شعر بالراحة والسعادة لعودة سيده سالماً بعد أن غاب عنه أسبوعاً عصف به القلق خشية أن يكون قد أصابه مكروه .

استلقى رقم ٣٢٦ فى مقعده الوثير وهو يستمتع بلحظات الراحة والدفء فى جناحه الأنيق بالفندق بعد أسبوع من الحياة الجافة .

كان يهم بإصدار أوامره إلى خادمه لإعداد العدة له لكى يغتسل ويزيل لحيته ويصلح هيئته التى ساءت إلى حد كبير خلال هذا الأسبوع ، ولكنه سمع صوتاً مدوياً لم يشك لحظة واحدة أنه صوت طلق نارى خارج غرفته .

وبسرعة اتجه صوب الباب ولكنه قبل أن يصله وجده يفتح ودخلت منه امرأة أغلقت الباب خلفها بسرعة وراحت تنظر حولها نظرات تحمل كل معانى الخوف والذعر وهى تمسك فى يدها مسدساً يتصاعد منه الدخان ثم همست بصوت خافت :

– لقد قتلته .. لقد قتلته .

ثم سقط المسدس من يدها وكادت تهوى إلى الأرض لولا أن تلقاها رقم ٣٢٦ بين ساعديه القويتين .. وراح عقله يعمل بسرعة البرق وهو يفكر فى هذه الأحداث غير المتوقعة .

شعر بضعف الفتاة واحتمائها به فثارت لديه نزعات الرجولة وقرر أن يحميها مهما كلفه ذلك فقد شعر بأنه مسئول عنها .

وبسرعة البرق كان قد أعد خطة لمواجهة الخطر المقبل مدفوعاً إلى ذلك بشهامته ورغبته فى حماية الفتاة .. سمع رقم ٣٢٦ طرقاً عنيفاً على باب الغرفة كما سمعته الفتاة التى ارتعدت وأفاقت من غشيتها واضطربت بين ذراعى الرجل الذى يحميها فوضع يده على فمها حتى لا تتفوه بكلمة ، ثم صوب نظرة ذات مغزى إلى خادمه الأمين "فرنسيس" الذى أدرك ما يقصده رئيسه .

وعلى الفور هرع الخادم إلى الباب وأغلقه بالمفتاح دون أن يحدث أدنى صوت .

وضع ٣٢٦ أذنه على الباب فسمع أصوات هامسة فى الخارج ، وأدرك أنهم يتشاورون فى كيفية الدخول بدون إحداث جلبة تؤثر على سمعة الفندق العريق .

بعد قليل توالت الطرقات على الباب وقال أحدهم :

- افتح باسم القانون .

همس رقم ٣٢٦ فى أذن الفتاة :

- هيا بنا .

ثم جذبها معه برقة تجاه مرآة تخفى وراءها باب الغرفة المجاورة لغرفته وفى لحظة فتح الباب ودفع بها إلى الغرفة وأدار إليها مسدسها وهو يقول :

- أرجو أن تلزمى الصمت التام مهما حدث .. حتى أنفاسك أرجو ألا

يكون لها أدنى صوت ولا تتحركى حتى ينصرفوا .

وأغلق الباب وأعاد المرآة إلى طبيعتها .. وبعدها اتجه صوب باب غرفته وكان الطرق قد ازداد وتعالت الأصوات فى الخارج تأمره بأن يفتح باسم القانون .

فتح الباب فوجد أمامه رجلين قال الأول إنه بوليس سرى من العاملين بالفندق ، أما الثانى فقد كان يرتدى ثياب رجل شرطة .

فى هذه اللحظة كان رقم ٣٢٦ يضع الصابون على وجهه تمهيداً لحلاقة ذقنه .. فتأمله الرجلان لحظة وهما يدخلان إلى الغرفة بينما كان الخادم يقف بالقرب من دورة المياه التى انساب الماء من صنبورها مما يدل على إنهما أزعجا الرجل وهو يحلق ذقنه .

قال الرجل الذى عرف نفسه كبوليس سرى :

– عفواً .. إننا نبحث عن سيدة .

قال رقم ٣٢٦ :

– ولماذا تبحثون عنها هنا .. أؤكد لكم أنه لا توجد هنا أية سيدة .. ولكن ماذا حدث ؟ ولماذا تفتشون غرفتى بالذات ؟.

قال رجل البوليس السرى :

– لقد ارتكبت هذه المرأة جريمة قتل وشاهدها بعضهم وهى تركض فى الممر ثم شاهدوا باب غرفتك مفتوحاً .

فتعجب رقم ٣٢٦ فى نفسه عن سذاجة هذه الفتاة .. فكيف ترتكب هذه

الفتاة جريمة قتل ؟! ثم قال بصوت هادىء :

- من المؤكد أنك قد أخطأت ياسيدى .

فقال الرجل بلهجة مهذبة خالطها شيء من الارتباك :

- إنني أرجو ذلك .. ولكن معذرة فلابد من ..

فقاطعة رقم ٣٢٦ قائلاً :

- نعم .. نعم .. إنني أفهم .. فلابد أن تؤدى واجبك .. ولا اعتراض لدى قط على تفتيش الغرفة التى أؤكد لك أنه ليس بها من أحد سوى أنا وخادمى هذا .

ثم أفسح لهما الطريق ووقف أمام المرآة وعاد إلى حلاقة لحيته بهدوء وهو يراقب خطوات تفتيش الغرفة .

خطر بباله خاطر أزعجه .. فقد خشى أن يلاحظ الرجلان ملابسه القذرة التى لم يستبدلها بعد والتى كان يرتديها أسفل (الروب) .. وعلى الفور أحكم إغلاقه ليخفى هذه الملابس .. كما شعر لأول مرة بيديه ترتعدان خشية أن يعثر الرجلان على الفتاة .. فلماذا هذا القلق على فتاة لم يرها من قبل ولم يعرفها إلا منذ دقائق معدودة ؟! .

ترى هل يمكن لتلك الفتاة صاحبة النظرات البريئة والوجه الملائكى والتعبيرات الساذجة أن ترتكب جريمة قتل ؟! انها تبدو كطفلة كبيرة .. فهل يرتكب الأطفال جرائم القتل ؟.

لابد أن فى الأمر لبسا ما .. ولكنه سمع صوت الطلق الناري كما رأى

المسدس في يد الفتاة والدخان يتصاعد منه .

أفاق رقم ٣٢٦ من أفكاره على صوت رجل البوليس السرى الذى قدم إليه اعتذاره وبرره بالاضطرار إلى فعل ذلك .. ولكنه قبل أن يغادر الغرفة لفتت المرآة نظره فقال :

- معذرة يا سيدى .. هل يوجد شيء خلف هذه المرآة ! .

زاد اضطراب رقم ٣٢٦ وألقى نظرة عاجلة إلى خادمه وكأنه يقول له :

- هيا تأهب للموقعة القادمة.

ثم قال بهدوء :

- يمكنك أن تستطلع الأمر بنفسك فلم أفحص كل شيء فى الغرفة .

تمكن الرجل وزميله رجل الشرطة من زحزحة المرآة فانكشف الباب المؤدى إلى الغرفة المجاورة خلفها .. وحانت اللحظة الحاسمة .

أمسك الرجل بمقبض الباب وحاول تحريكه .. ولكن الباب ظل مغلقاً كان من الواضح أنه مغلق من الجانب الآخر .

وهنا تنفس رقم ٣٢٦ وخادمه الصعداء بينما عاد الرجلان وكرر الاعتذار ثم انصرفا من الغرفة .

أحكم رقم ٣٢٦ إغلاق الباب خلفهما ثم هرع إلى باب الغرفة المجاورة وفتحه للاطمئنان على الفتاة التى تعاطف معها إلى أقصى درجة .. طرق الباب وهو يهمس :

- افتحي .. لقد انصرفا .

وبعد لحظات تحرك المفتاح وانفتح الباب حيث رأى ٣٢٦ الفتاة قابعة فى أحد أركان الحجرة قرب الباب وهى تبدو كحيوان وقع فى شرك .

كانت عيناها تحملان كل معانى الخوف والقلق بينما كان صدرها يعلو وينخفض وهى ترفع بصرها لتنظر من القادم .

ولدهشتها وجدت أمامها رقم ٣٢٦ وهو يرتدى روبه الأنيق وكان قد أزال لحيته فبدى وسيماً جذاباً على غير الحال التى شاهدته عليها منذ دقائق معدودة .

انعكست فى عينيها نظرات الإعجاب المقترن بالدهشة ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة بريئة وقالت :

– إنه أنت .

– نعم .. أنا .

– هل حقاً أنت الذى رأيته منذ لحظات قليلة ؟.

فأجابها رقم ٣٢٦ ضاحكاً :

– نعم .. هل تشكين فى ذلك ؟.

– نعم .. كنت ألا أعرفك حقاً .. لقد تغيرت هيئتك تماماً وكأنك أصبحت رجلاً آخر !! ومن الغريب أنك تذكرنى بشخص آخر .. الحق أنك تذكرنى بأعز الناس وهو أخى الذى فقدته .. مع اختلاف هام وهو أنك تبدو أكثر مرحاً ونشاطاً منه .. وفى عينيك نظرة الفتى الذى شعر بالحب لأول مرة فى حياته !!.

تعجب رقم ٣٢٦ لكلماتها التى قالتها بلهجة تفيض بالعفوية والبراءة ولم

يعقب .. بينما اتجهت عينا الفتاة إلى المسدس الموضوع فوق المنضدة وتبدلت تعبيرات وجهها على الفور .. فارتسمت على محياها كل آيات الخوف والفزع .. وكأنها أفاقت على الحقيقة الأليمة التى غابت لحظات عن بالها .

اقترب منها رقم ٣٢٦ ووضع يده على كتفها وحاول أن يرفه عنها بكلماته الهامسة المشجعة .. ولكن دموعها سبقتها وقالت :

– كان موعدى معه فى هذا الفندق من أجل الاتفاق على العمل فى أحد المسارح فى "ريودى جانيرو" .. عرض على مرتباً ضخماً .. فجئت إلى هنا لمقابلته .. ولكن ماحدث كان شيئاً مروعاً .. كان يريد الاعتداء على .. لم أكن أتوقع أن يحدث هذا فأطلقت عليه الرصاص وقتلته .

ثم أطلقت العنان لدموعها التى انسابت بغزارة وراحت الفتاة تنتفض حزناً وراح جسدها يرتجف من فرط الانفعال .. أما رقم ٣٢٦ فراح يواسيها بكل ما يعرف من كلمات التشجيع والمواساة .. كان مخلصاً غاية الاخلاص فى موقفه تجاهها .. كأنه حبيبها أو أخوها الذى يخشى عليها ويحمل لها كل مشاعر الود والإخلاص .

وأخيراً توقفت الفتاة عن البكاء وهى تشعر بالامتنان نحو هذا الشاب المخلص الصادق العاطفة وراحت تنظر إليه نظرات تفيض بالشكر والعرفان على وقوفه بجانبها فى هذه المحنة الشديدة .. كان لهذه النظرات التى تحمل كل معانى الضعف والخضوع وقع شديد فى قلب رقم ٣٢٦ الذى شعر بأحاسيس غريبة لم يعرفها من قبل !!.

وأخيراً قال هامساً :

- عليك أن تثقى بى .. وسوف أساعدك مهما حدث فلا تدعى شيئاً يقلقك

ثم توقفت الكلمات على شفتيه وهو ينظر إلى عينيها ويذوب فيهما طويلاً ودار حوار طويل بلغة العيون بين ذلك الفتى الوسيم الجرىء وتلك الفتاة الجميلة صاحبة النظرات التى تفيض بالبراءة والطهر وأخيراً قالت :

- إننى أثق بك .

- حسناً .. سوف أخفيك قليلاً عند والدة خادمى فى بيتها بالريف إنها تقطن فى بيت ريفى هادىء ولكنه آمن ولن يصل إليك أحد منهم هناك .. فهل توافقين على هذا الاقتراح ؟.

قالت وقد زالت عن وجهها كل دلائل الخوف والقلق :

- نعم .. سأذهب .

- حسناً .. سأعود إليك بعد لحظات .

ثم غادر الحجرة وأغلق الباب خلفه وعاد إلى حجرته ليلقى بأوامره إلى خادمه "فرنسيس" ، الذى ما أن شاهده حتى قال له :

- سيدى إن الرجل لم يمت .. الرجل الذى أطلقت الفتاة عليه الرصاص ما يزال حياً !!.

- هل تعنى ذلك حقاً !!.

- نعم .. لقد خرجت إلى الردهة بالخارج لأستطلع ماحدث .. ووجدت أن الأمر لا يستحق كل هذه الضجة التى أحدثوها .. لقد مرت هذه الرصاصة التى أطلقتها الفتاة بجوار كتف الرجل فقط ولم تصبه بأى أذى سوى بعض

الخوف والقلق من جراء صوت الرصاص .. وهو الآن يرقد فى غرفته مصاباً ببعض الاضطراب .. ومن الواضح أنه لا يريد أن يضخم الأمور فقد طلب منهم ألا يبحثوا عن الفتاة وأنه بخير وسوف يغادر سريره بعد قليل .

شعر رقم ٣٢٦ بفرحة طاغية تتملكه بعد أن سمع هذه الأخبار ، وعلى الفور اتجه صوب الحجرة المجاورة حتى يزف البشرى إلى الفتاة .

فتح الباب ونظر بداخل الحجرة ولكنه تلقى صدمة مروعة !!.

كانت الحجرة خالية من الفتاة .. فعقدت الدهشة لسانه ووقف متحيراً .. أين ذهبت الفتاة فمازالت آثارها واضحة .

على الفور نظر إلى باب الغرفة المؤدى إلى الخارج فوجد المفتاح مازال يهتز دليلاً على أنها قد غادرتها منذ لحظات قليلة .. عندما هم بأن يلحق بها لمح على المنضدة ورقة وضعتها الفتاة بجوار المسدس فتناولها بسرعة ليطالع فيها هذه الكلمات :

(من الخير لنا ألا نلتقى بعد ذلك) .

دس الورقة فى جيبه ثم هرع إلى الباب ووقف أمامه ينظر حوله .

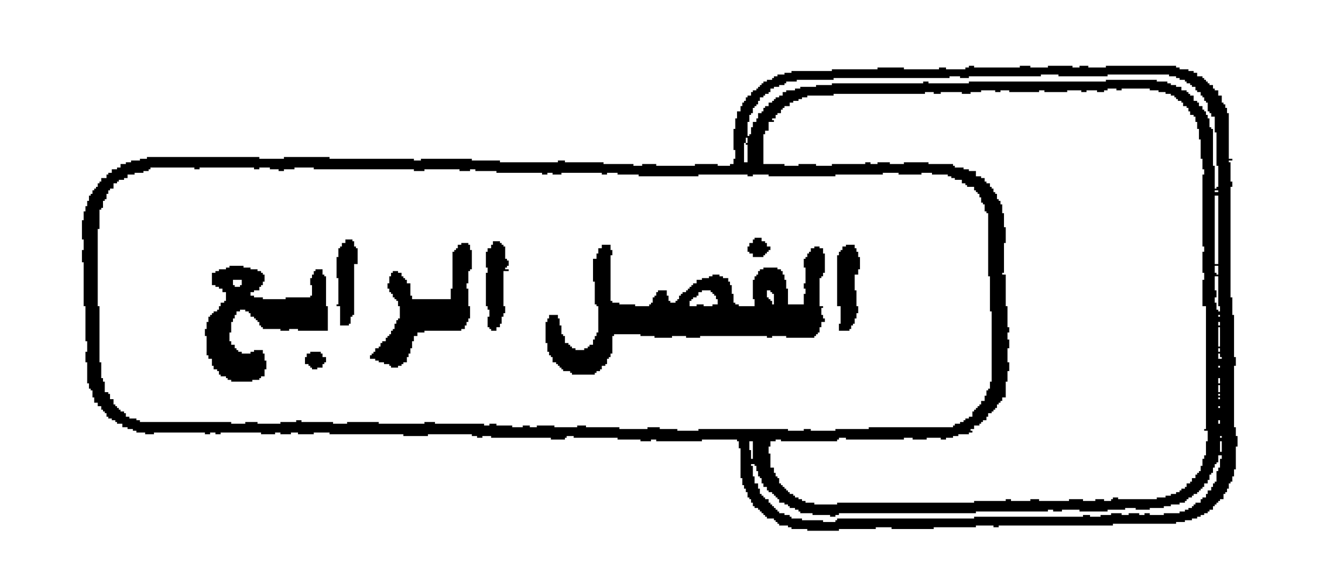
وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة المقابلة وبدا منه وجه رجل يابانى ألقى بنظرة عجيبة إلى رقم ٣٢٦ ، ثم ابتسم له ابتسامة ذات مغزى أثارت ريبة الشاب وقلقه فلم يتعقب الفتاة وشغله منظر هذا الرجل وشعر بأنه يراقبه .

انحنى الرجل باحترام أمام رقم ٣٢٦ ، الذى بادله التحية ثم انسحب

كلاهما إلى غرفته وأغلق بابها .

جن جنون رقم ٢٢٦ ، وهو يتذكر كل هذه الأحداث التي مرت بسرعة عجيبة ، وشعر بوحشة شديدة بعد ذهاب الفتاة !!

***



الفصل الرابع

نظر "والتون" بسخرية وقال بلهجة تفيض بالمرارة والتهكم :

– ماهذا .. هل كنت تبكين يا" سونيا" ؟ إن هذا يعد دليلاً قوياً على أنك كنت تلعبين دوراً من أفضل أدوارك .. أليس كذلك ؟.

إلا أن " سونيا بارانيكوفا" ، لاذت بالصمت ولم تجد وسيلة للتعبير عن سخطها وعدم رضاها إلا أن هزت كتفيها وانتظرت رد هذا الشيطان المدعو "والتون" .

أما "والتون" فقد راح ينظر إليها بينما كانت ابتسامته تزداد اتساعاً وكأنه ينفذ بنظراته إلى أعماقها .. أخذ يفكر بسرعة وهو ينفث دخان سيجارته ، أما " بيترا " ، فقد وقفت خلف مقعدة المتحرك وهى جامدة كالتمثال الرخامى .

ساد الصمت بضع دقائق حيث كان كل منهما غارقاً فى أفكاره .. ثم نهضت "سونيا" وراحت تذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويدا أنها تفكر فى أمر هام .. وأخيراً استجمعت شجاعتها وبدت على وجهها علامات التصميم وقالت

بصوت جاف :

- سيدى .. يمكنك أن تطلب منى أى شيء .. أى شيء إلا هذا .

وكأنه كان ينتظر هذا القرار فقال معقباً .

- لماذا ؟.

فقالت بأنفعال وبدون تفكير :

- لا أعرف لماذا .. كل ما فى الأمر أننى لا أقبل أن أكون حربة .. تستخدمها لطعن هذا الرجل .

- ولكن لماذا هذا الرجل ؟.

- فى الحقيقة أنه يذكرنى بأخى الراحل " ساشا " .

شعرت "سونيا" أن "والتون" يرمقها بنظرات تكذب كل ما تقول ولم تشك لحظة فى اعتقاده بأنها تحاول خداعه .. وأخيراً قال :

- إننى أقدر مواهبك الفذة وقوة ذاكرتك العجيبة التى أتاحت لك أن تتذكري أخاك "ساشا" .. لقد مات وأنت طفلة هو ووالدك بواسطة مكتب المخابرات السرية فى روسيا والذى كان معروفاً باسم " اوكرانا ".. من الذى ينسى هذا الاسم الرهيب لمكتب مخابرات الحكومة القيصرية .. لقد أعدم الاثنان لأنهما كانا يناديان بالحرية .

وإننى أعلم جيداً يا "سونيا " أن ما جاء بك إلينا هو حقدك على قتلة أخيك وأبيك وكانت رغبتك الطاغية فى الانتقام لهما هى التى جعلت منك أعظم جواسيسنا على الإطلاق وأكثرهم انتصاراً على أعدائنا وهم بالقطع

أعداؤك .. وإذا كان هذا الرجل المعروف برقم ٣٢٦ يذكرك بأخيك الراحل "ساشا" ، فإن هذا يعتبر دافعاً جديداً للحقد عليه وعلى من يعملون معه أما إذا فشلت فى اعتباره عدواً والتعامل معه على هذا الأساس فيمكنك على الأقل التأثير عليه حتى يعمل ضمن صفوفنا .

ولكن الرجل دهش عندما تعالت صرخات الفتاة قائلة :

– كلا إن هذا لن يحدث أبداً .

ولكن "والتون" واصل حديثه بنفس الهدوء وتجاهل اعتراضها فقال :

– إن أفضل طريقة للتعامل مع شخص موهوب مثل رقم ٣٢٦ هى أن نجتذبه ليعمل ضمن صفوفنا .. إن مقابلتك الأولى معه انتهت بأفضل النتائج ولم يمكنك الحصول منه على شىء سوى بعض الرسائل القديمة التى لا أهمية لها .

إن رقم ٣٢٦ رجل شديد الدهاء ، وإذا كان " مايلز جيسون " ، رئيسه يقول دائماً أنه جاسوس من الهواة إلا أننى أقر بأنه أمهر كثيراً من معظم محترفى التجسس . ويكفى دليلاً على ذلك أنه استطاع بمفرده وبقدرته الفذة على التنكر أن يدوخ خمسة من أمهر رجالى وأكثرهم خبرة .. ومن كان بهذه الكفاءة النادرة جدير بأن يعمل معنا .. ولكن المشكلة أنه ليس من الأشخاص الذين يدير بريق الذهب رؤوسهم ، بل إنه لا يحفل بالمال إطلاقاً ولن تجدى معه هذه الوسيلة حسب علمى .. ولذلك فإن الوسيلة الوحيدة لاقتناعه هى الإيقاع به بواسطة فتاة مثلك يا "سونيا" .. نعم لا يوجد خير منك للقيام بهذه المهمة الصعبة حتى يجىء رقم ٣٢٦ ، إلينا بملء رغبته .

لم تجد "سونيا" لديها القدرة على معارضة "والتون" .. كانت تشعر بأنها مخلوقة تعسة مغلوبة على أمرها أمام قوته الشيطانية الهائلة .

انتهى "والتون" من حديثه الهادىء وبدأ فى إلقاء الأوامر الصارمة فقال لها :

- اجلسى .

ولم تجد المسكينة بداً من إطاعته .. فجلست بهدوء .

أما "بيترا" فقد تقدمت صوب مكتب "والتون" وتناولت قلماً قدمته إلى الفتاة الحائرة بينما واصل "والتون" حديثه إلى "سونيا" وراح يملى عليها ما يلى :

(أيها الصديق المخلص .. وجدت أنه من الضرورى أن أوضح لك بعض الأمور ولذلك فأرجو التشرف بمقابلتك) .

ولكن "سونيا" ألقت بالقلم ونهضت واقفة وهى تقول بحدة :

- لا .. لن ترغمنى على كتابة هذه الرسالة الخادعة ياسيدى .. افعل بى أى شىء .. ولكننى لن أتراجع عن هذا القرار أبداً .

ودهش "والتون" لسلوك "سونيا" .. وظل يراقبها بهدوء وهى ترتجف وقد استحالت إلى فتاة أخرى متمردة عنيدة غير "سونيا" التى يعرفها .. راح ينفث دخان سيجارته بهدوء ثم قال لها بهدوء :

- هل تحبين هذا الشاب ؟ :

احمر وجه الفتاة لهذا السؤال غير المتوقع .. ولكنها استطاعت أن

تتمالك نفسها واسترداد ثباتها وقالت بصوت حاد :

- اؤكد لك أنني لا أحبه ، ولا دخل له بقراري هذا ولكنني شعرت بالحقد عليك وعلى هذا الرجل شريكك .. وللأسف فهو شريكي أيضاً في تمثيل هذه المأساة .. بل المؤامرة الدنيئة التي تم تنفيذها بفندق "أوليمبيا" .. إنني أعلم جيداً أن هذا الرجل كان شريكاً لي كما هو شريكك تماماً وإنني قد تورطت معك وانغمست في مؤامراتك حتى قمة رأسي ، ولذلك فإنك لن تدعني حتى تدمرني تماماً .. ليتك تقتلني فإنك بذلك تكون قد أتيت عملاً رحيماً لأول مرة في حياتك .

إنني لا أطلب منك أن تطلق سراحي .. ولا أريد شيئاً خاصاً .. إنني فقط أرجوك ألا تجعلني أشارك في خداع هذا الرجل الذي تصرف معي بكل شهامة وعرض نفسه للأخطار حتى يدرأ عني الخطر ويحمي ضعفي .

فقال "والتون" بلهجته التهكمية اللاذعة :

- تصرف معك بكل شهامة ؟! وهل نحن خططنا سوياً لشيء أفضل من ذلك ؟ ألم نبن خطتنا على شهامته .. ولعلك مازلت تذكرين كما أذكر أنك أنت التي اقترحت عليّ هذه الفكرة وهي التظاهر بقتل الرجل في الفندق .

ونظر إلى "سونيا" في انتظار الرد ولكنها آثرت الصمت ، فقال بحدة :

- أليست هذه هي الحقيقة يا" سونيا" ؟.

قالت "سونيا "بصوت خافت :

- نعم .

- حسناً .. مادمنا قد نجحنا في خطتنا ومادام رقم ٣٢٦ قد جازت عليه

هذه الخدعة فلا يوجد مانع من أن نستفيد من نجاحنا حتى نصل إلى أهدافنا إلا إذا كنت قد سقطت أسيرة حبه وهذا ما أنكرت حدوثه .

لم تحر "سونيا" جواباً ، فقال "والتون" بلهجته الناعمة :

– هيا اكملى الرسالة التى بدأناها سوياً .

ثم أملاها : (وإنى آمل أن تقبل دعوتى غداً فى الرابعة مساء لتناول الشاى فى منزلى رقم ٢٤ بارك ستريت) ..

والآن عليك تذييل الرسالة بالحروف الأولى من اسمك .

ففعلت "سونيا" كما أمرها "والتون" الذى استطرد قائلاً :

– عليك مواصلة تنفيذ الخطة التى بدأتها مع رقم ٣٢٦ فى فندق "أوليمبيا" ، بالتظاهر بالحزن والبراعة مع تهيئة جو خاص فى منزلك .. ومن الأفضل أن تعزفى له لحناً من الألحان الروسية الشجية التى تجيدينها، فأنا واثق من حب هذا الشاب للموسيقى مثل معظم مواطنية الألمان ، وإننى أعلق أهمية كبيرة على نجاحك فى تهيئة هذا الجو الساحر .

لا يوجد لدى المزيد من التعليمات ، فأنا أعلم مدى قدرتك على القيام بهذه الأعمال ببراعة متناهية والوصول إلى أهدافك بأفضل طريقة .

– والآن ما هو الوضع الحالى بينك وبين "جيلوسيك" ؟.

فأجابت "سونيا" بلهجة تشف عن الضجر :

– مازال كما هو يولينى ثقته ويطيعنى طاعة عمياء .

– رائع "ياسونيا" .. ويجب أن يتم تصفية الأمر معه فى أسرع وقت

ممكن ، فقد علمت أن هناك محاولات جادة لمعرفة مفتاح الشفرة التى يتسلم بها رسائله .

فقالت "سونيا" :

– وهل تظن أنه هو الوحيد الذى يتعرض للمراقبة من قبل الأعداء ؟.

رفع "والتون" حاجبيه بدهشة وقال لها :

– ومن غيره ؟.

– أنا !!.

– وكيف حدث ذلك ؟!.

– بالأمس وعندما كنت أهم بدخول منزلى لفت نظرى بائع متجول يسيرذهاباً وإياباً أمام المنزل .. كانت ملامحه تدل على أنه يابانى .. لم يكن فى هذا الأمر ما يريب على الإطلاق .. ولكن ما حدث اليوم هو الذى أثار شكوكى .. فبينما أنا فى سيارة انتظر حضور "جيلوسيك" ، حاملاً معه الخرائط والرسوم الحربية الهامة لمحت رجلاً ذا ملامح يابانية يجلس فى مقهى يقع مقابل بيت "جيلوسيك" وهنا أصبح الشك حقيقة .

أخذ "والتون" ينقر بأصابعه فوق المكتب ثم قال :

– ولماذا لم تخبرينى بهذه المعلومات من قبل ؟.

قالت "سونيا" ببرود :

– هذا لأنى نسيت !!.

– ليس من حق من يعملون معى أن ينسوا أى شىء .

لم تنطق "سونيا" وإن شعرت ببعض الخوف من لهجة "والتون" الذى قال :

– من المؤكد أنك تعلمين أننى لا أحذر من يعملون معى أبداً .. فكل منهم يعرف جيداً ما يجب أن يفعله ومالا يجب أن يسمح بوقوعه أبداً .. ويعرف أيضاً كل أعوانى ما الذى سوف يحل بهم إذا أهملوا فى عمل ما .. أما إذا كنت أحذرك الآن فإننى أفعل ذلك شفقة بك فقط هل فهمت الآن !!..

أجابت "سونيا" باستياء ظاهر :

– قلت إننى فهمت .

– حسناً .. والآن دعنا نناقش أمر " جيلوسيك ".. إننى على أتم الاستعداد لدفع المبلغ الذى حدده ولكن بشرط .. أن يغادر البلاد إلى الأبد فلا يراه أحد بعد ذلك .. وسوف يعبر الحدود مساء الغد .

مهمتك الليلة الذهاب إليه على أن تسلكى شارع "كورى" .. وعند تقاطع هذا الشارع مع شارع "يورك" سوف تجدين "موربيه" فى انتظارك ذلك فى منتصف الساعة العاشرة وسوف ينقل إليك تعليماتى المفصلة .. هل فهمت كل شىء ؟! .

– نعم ؟.

قال "والتون" وهو يبتسم :

– إننى أثق فى ذكائك .. أتمنى لك ليلة سعيدة يا "سونيا" .

– طاب مساؤك يا سيدى .

ثم غادرت بنك "والتون" وهى تشعر شعوراً طاغياً بمقت هذا الرجل إلى

حد لم تشعر به لأحد من قبل حتى إنها تكاد تقتله لتخلص العالم من شروره التى لا تقف عند حد .

شعرت بضيق شديد وكأن شيئاً ثقيلاً يجثم على أنفاسها ويكاد يخنقها وراحت تتساءل ترى ماذا يحدث لو حاولت الإفلات من هذا الشيطان إلى الأبد ؟! هل يمكن أن أتخلى عن هذه الحياة الملوثة التى أحياها فى ظله ؟!.

ولكننى لو حاولت ذلك فلن يتخلى عنى ولن يدعنى أذهب بسلام .. وسوف يعثر على أينما ذهبت ثم ينزل بى عقابه الرهيب .. فما من أحد استطاع الهرب منه أبداً .. ولكن أليس بإمكانى العثور على وسيلة للهرب ؟!.

لقد تعلمت فنون التنكر وتقمص عدداً من الشخصيات فى نفس الوقت دون أن يرتاب فى أحد ممن أتعامل معهم أو يعرف حقيقتى ؟!.

كلا يجب ألا يغيب عن ذهنى أن لهذا الرجل شركاء وأعواناً فى كل أنحاء العالم فهى شبكة رهيبة هو رأسها المدبر وعقلها المفكر .. فمهما فعلت فلديه القدرة على أن يتعقب آثارى وينزل بى انتقامه .

آه أنه رجل جبار .. فرغم أنه مريض عاجز عن الحركة إلا أنه قوى .. جبار .. لا يرحم .. إنه رجل لا يهدد أبداً ولا يتوعد ولا يحذر أحداً .. نعم .. إنه يقتل فقط !!.

ترى ماذا أفعل ؟ لقد كرهت هذا الرجل إلى حد لا يحتمل ؟.

أشعر برغبة جامحة فى أن أضلله فى لعبة القط والفأر التى بدأت بيننا اليوم .. نعم لابد لى أن ألاعبه وأحاربه بنفس سلاحه ، وهو الدهاء .

آه .. ولكن ماذا عن رقم ٣٢٦ وماذا يكون مصيره فى هذا الصراع ؟!.

إننى أعتقد أن الطريقة الوحيدة لضمان سلامته هى أن أنفذ الخطة وإلا فسوف يوقع به هذا الشيطان بوسائله الجهنمية التى لا تخيب أبداً .. إن هذا الشاب الشهم فى أشد الحاجة لمن يحميه ويسهر على سلامته وقد قررت أن أكون أنا هذا الشخص .

نعم .. لن يستطيع أحد أن يؤدى هذا الدور خيراً منى ، وسأظل فى خدمة "والتون" لا لغرض إلا حماية رقم ٣٢٦ .. وسأظل أحميه وأدافع عنه وسأجعل من نفسى درعاً تقية كل سوء .

كان هذا الحديث يدور داخل عقل "سونيا" .. وعندما اتخذت قرارها بحماية رقم ٣٢٦ ، كانت دقات ساعة إحدى الكنائس تعلن تمام الرابعة .

فقالت لنفسها :

فى مثل هذه الساعة غداً سوف ألتقى به وسوف تكون المقابلة هذه المرة مختلفة تماماً عن المقابلة السابقة على الأقل فيما يختص بى .

ترى هل سأوفق فى تنفيذ خطتى ؟! أم سأظل مرتبطة بهذه الخيوط الفولاذية بالملعون " والتون " .. فليساعدنى الله .

***

بينما كانت "سونيا" مستغرقة فى أفكارها التى طالعناها منذ قليل انتبهت على صوت خطوات ثقيلة تتبعها .. فالتفتت خلفها برشاقة وبحذر ثم تملكها الغضب الشديد .

كان الذى رأته يتعقبها بتلك الخطوات هو زميلها " موريه " .

فتوقفت عن السير وقالت له بخشونة :

– ما معنى هذا ؟ :

أجابها "مورييه" وهو يلهث من فرط الإجهاد :

– ما هذا ؟ كيف يمكنك السير بهذه السرعة الهائلة كما لو كنت تودين اللحاق بقطار على وشك القيام .

ازداد غضب "سونيا" وقالت بلهجة تنم عن الاشمئزاز :

– ماذا يعنى ذلك ؟ ولماذا تسير خلفى هكذا ؟.

نظر إليها "مورييه "بخبث ثم قال :

– من الواضح أن الرئيس تساوره بعض الشكوك من ناحيتك !!.

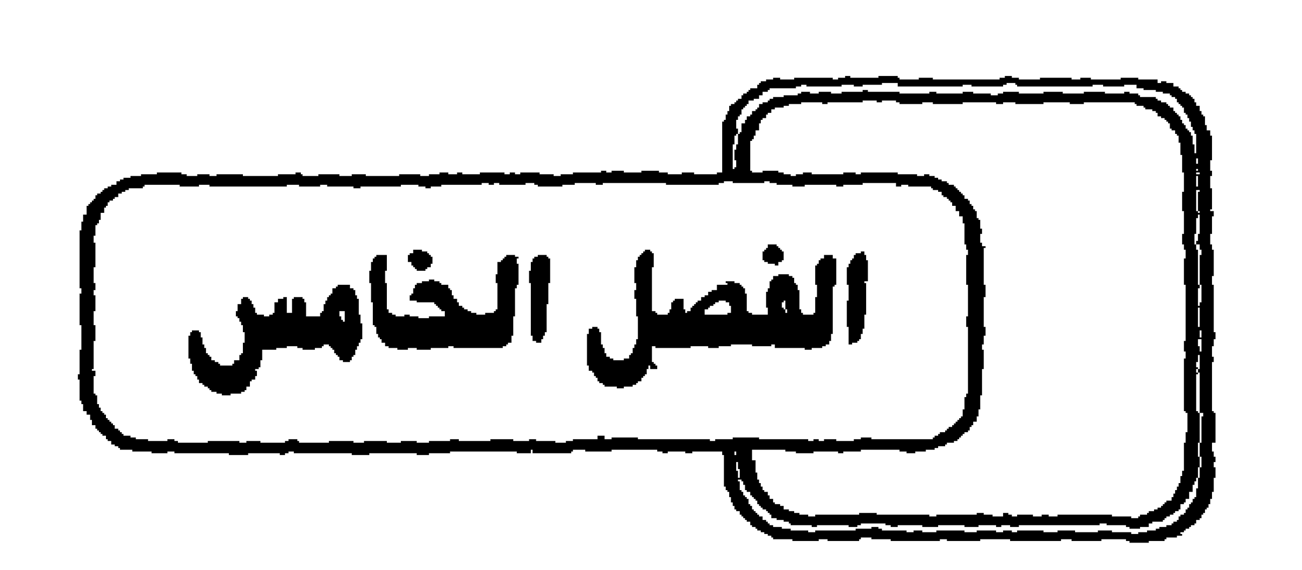
وهنا أيقنت الفتاة أن الرجل قرأ أفكارها وفطن إلى نواياها وقرر أن يراقبها بهذه الوسيلة .

قالت "لمورييه ":

– من الأفضل لك أن تعود من حيث جئت ..

ثم واصلت سيرها دون أن تأبه به .. كانت على يقين من أنه سوف يواصل مراقبتها وأنها لن تستطيع أن تخدعه أبداً حتى لو تمكنت من خداع "والتون" نفسه .. إن "مورييه "شديد الولاء والإخلاص "لوالتون" ، وهو يتمنى لو فقد حياته فى سبيل رئيسه الذى أنقذه يوماً من حبل المشنقة ، ولذا فهو لا يعمل لدى "والتون" من أجل مال أو غرض ما .. بل يعمل متطوعاً حباً وولاء للرجل .

أما النتيجة التى توصلت إليها "سونيا "بعد كل هذا هى أن "والتون" لم يعد يثق فيها !!.



الفصل الخامس

دخل رقم ٣٢٦ إلى الحجرة الصغيرة التى قادته إليها الخادمة العجوز كانت غرفة صغيرة ولكنها مفروشة بأثاث يدل على ذوق رفيع كما كانت رائحة الورود تفوح منها ..

توقف قليلاً ثم راح يتطلع حوله ويتفحص كل ما فى الحجرة من أشياء ثم توقف أمام الصور المعلقة فوق الجدران .. كانت كلها لأسلاف "سونيا" فوقف أمامها وهو يتأملها بخشوع .

فى هذه الأثناء كانت "سونيا" تراقبه خلسة من وراء ستار فى غرفة مجاورة وهى تحمل بين يديها باقة الزهور الرقيقة التى أرسل إليها بها فى صباح اليوم ومعها الجريدة التى ذكرت حادث الأمس بالفندق واستطرد المحرر فى وصف تفاصيل الحادث وكيف هربت الفتاة الجريئة التى أطلقت النار على هذا الرجل ثم هربت دون أن يدركها أحد .

لفت نظرها هذا الشاب بوسامته ومشاعره الصادقة التى ينطق بها وجهه أما عيناه فتشبهان عيون الأطفال فى براءتها .. وياله من تناقض شديد بين

مظهره ومهنته الصعبة .

كانت تستمتع بمراقبته بهذه الطريقة ، وقد سرها كثيراً وقوفه باحترام أمام صور أجدادها ولمست في سلوكه هذا مزيداً من النبل والشهامة وحسن الخلق .

وهنا أدركت حقيقة مشاعرها نحو هذا الرجل . . فقالت تخاطب نفسها :

نعم .. كان "والتون" على حق عندما قال إنني أحب هذا الرجل .. إنني أحبه بالفعل .. كيف لا أحبه بعد كل ما أبداه من شهامة في حضوري وفي غيابي ؟! .

إنني لن أسمح لمخلوق على وجه الأرض أن يمسه بأدنى ضرر مادمت على قيد الحياة .. الحياة التي لم أشعر بجمالها ولم أحب أن أحياها إلا بعد أن عرفته .. لقد أحببته حباً صادقاً وسوف أدافع عنه بإخلاص .

ثم تقدمت إلى الحجرة التي كان بها رقم ٣٢٦ .. وهي مازالت تحمل باقة الزهور التي أرسل بها إليها .. وما كاد يشعر بها حتى التفت إليها ، كان من الواضح أنه سعيد غاية السعادة لرؤيتها وأنه يود لوعبر عن تلك السعادة .

أما هي فقد كانت تشعر بمثل ما يشعر به وكانت تود لو تلقي بنفسها بين ذراعيه .

أخذ كل منهما ينظر إلى وجه الآخر وهو لاهث الأنفاس بادي الاضطراب .

لم تتحمل "سونيا" شدة الانفعال وخشيت أن تبكي تأثراً .. فقالت بصوت

هامس يعبر عن سعادتها وفرحتها

- إنني سعيدة .

فقال :

- وأنا أيضاً فى غاية السعادة .

فقالت بصوت ينبض بالانفعال والتأثر :

- إننى فى غاية الشكر والامتنان لك لتفضلك بقبول دعوتى .. ولكنك مازالت حتى الآن لا تعرف اسمى .. إننى أدعى "سونيا" .." سونيا برانيكوفا" .

ثم نظرت صوبه بخجل وقالت بصوت خافت :

- هل يمكننى أن أعرف من أنت :

صمت رقم ٣٢٦ قليلاً وكانت "سونيا" فى انتظار إجابته ، وتوقعت أن يلقى بأية بيانات غير صحيحة عن شخصيته حتى يخفى عنها حقيقته ، ولكنه أجابها بقوله :

- وماذا يهم اسمى ؟ إنه لا يعنى شيئاً يا" سونيا" .

إنهم يعرفوننى فى فندق "اوليمبيا" باسم ما .. ولكنه ليس اسمى الحقيقى فيمكنك أن تناديني بأى اسم تحبينه "يا سونيا" .. فلا رغبة لدى فى الكذب عليك .

شعرت "سونيا" بالسعادة والراحة بعد سماع هذه الكلمات وازدادت حباً وتقديراً لهذا الرجل الذى يجذبها إليه بسرعة كبيرة .. وأخيراً قالت له .

– إننى أشكرك على ذلك أيها العزيز .. أرجو أن تتفضل بالجلوس حتى نتناول الشاى حسب اتفاقنا .. ولكنك لم تقل لى رأيك فى هذه الغرفة الصغيرة .. إنها جميلة .. أليس كذلك ؟!

استطردت "سونيا" دون أن تسمع منه إجابة .

– لقد قرأت فى عيناك الإعجاب والتقدير للغرفة وما تحتويه من أشياء.

أما بالنسبة لى فإن أغلى ما بها هى تلك التذكارات والصور .

إن الحديث عن هذه الصور سوف يجرنى حتماً لسرد الذكريات والتنقيب فى سجلات الماضى والخوض فى أمور لا أريد التعرض لها الآن .. ولكننى قد أفعل ذلك يوماً .

أخذت "سونيا "تقدم إليه الشاى وأصنافاً من الحلوى وهما جالسان حول مائدة صغيرة فوقها عدة باقات جميلة من الزهر .

أما هو فقد كان غارقاً فى تأمل جمالها وفتنتها .. صاح يتأمل عينيها وشعرها الرائع ثم يديها الرشيقتان .

كان يشعر أنه فى حالة من الصفاء والسعادة الطاغية .. يتعبد فى صمت فى محراب جمال هذه الفتاة الرائعة التى سلبت لبه واستطاعت أن تمتلك زمام قلبه خلال ساعات قلائل .. وبعد صمت طويل قال لها فجأة ..

– ليست لدى أية رغبة فى أن أعرف منك ما تحرصين على كتمانه .

لكننى أريد أن أقول شيئاً واحداً فقط .

إننى أحبك .

لم يعرف كيف استطاع أن ينطق بهذه الكلمة ولا من أين جاءته الجراءة والشجاعة على ذلك وقد خشى أن تكون النتيجة عكسية ويندم أشد الندم على ماقال .

ولكن لم يقدر له أن يندم قط .

ففى اللحظة التالية كانت "سونيا بين ذراعيه .

***

بعد حوالى الساعة قضاها الاثنان فى سعادة طاغية ، وشعر كلاهما أنها أجمل ساعة قضاها فى حياته على الإطلاق .. كانت الرغبة طاغية لديهما فى أن تتواصل هذه العلاقة وتستمر إلى الأبد .

فقال لها بصوت هامس :

– أرجو أن تقبلى دعوتى لقضاء هذا المساء معى . .أرجو أن توافقى على هذا الطلب فإننى لا أعلم ما الذى سيحدث لى فى الغد ، ولست واثقاً من أننى سوف أستطيع رؤيتك بعد ذلك . لست أعرف شيئاً وربما اتيحت لى الفرصة لكى أوضح لك موقفى فيما بعد .. كل ما أعرفه أننى أحبك وأريد أن أقضى معك أطول وقت ممكن فهل توافقين "يا سونيا" ؟.

أشرق وجهها بابتسامة عذبة وقالت :

– إننى أيضاً أحبك ، ويسعدنى كثيراً أن ألبى دعوتك لقضاء هذا المساء معك ، ليس هذا المساء فقط بل وكل الأمسيات إذا أردت ذلك .

فاضت نظراته بكل مشاعر الحب والعرفان والسعادة ثم قال :

– شكراً أيتها الحبيبة .. سوف أذهب الآن على أن أعود إليك فى التاسعة من مساء اليوم ، وسوف نذهب إلى مطعم " دانيللى " ، ثم نقضى السهرة .. فهل يناسبك هذا ؟.

– نعم .. إنه يناسبنى تماماً .. ومن أجلك سوف أرتدى أجمل ثيابى لأبدو جميلة حسناء .. فتعانقا .. ثم اتجه إلى الباب .

ولكنه عاد إليها فى اللحظة التالية ليقبلها ويضمها إلى صدره كأنه يخشى ألا يعود إليها مرة أخرى .. وأخيراً قال لها :

– كلا .. لن أستطيع الانصراف وحدى .. فأرجو منك أن تطردينى .

ضحكت " سونيا " ضحكة عذبة ودفعته فى صدره وهى تقول :

– هيا اخرج .. هيا اخرج فوراً .

ودون أن يلتفت إليها اتجه نحو الباب وهو يشكرها ويقول :

– إلى اللقاء .

* * *



من أعجب الأماكن في لندن مطعم " دانيللي "، الذي كان يجمع بين مجموعة كبيرة من المتناقضات .. فهو يضم عدداً كبيراً من العظماء الذين أخنت عليهم الأيام وساءت بهم الأحوال .. فكبير الخدم في الفندق غرندوق روسي وأميرال سابق في البحرية الروسية واضطر للهرب بعد الثورة مخلفاً وراءه كل ما يملك من جاه وثروة وفضل الحياة الهادئة المستقرة بعيداً عن المؤامرات والاضطرابات .

وصاحب المطعم كان طاهياً في بلاط أحد الملوك السابقين .

وكذلك فمدير الفرقة الموسيقية مليونير سابق بدد أمواله وهو شاب صغير فلم يتبق له شيء منها ..إما " كارولين " ، فهي أكثرهم جذباً للزبائن وهي امرأة بدينة تتميز بخفة الظل وبالبراعة في بيع الزهور للرواد .. ورغم انها كانت تحقق من هذا العمل ربحاً كبيراً إلا انها كانت تنفق كل ما تحصل عليه في الشراب .. بل كانت مدمنة للشراب تظل تعب منه حتى الثمالة .. ولعلها كانت تفعل ذلك حتى تنسى شيئاً ما يؤرقها .. ولكن العجيب أن ذاكرتها كانت تنشط وتنحل عقدة لسانها بعد تناول جرعة

كئوس من الخمر فتظل تقص أعجب الحكايات على السامعين .

حينما مرت "كارولين" بالمنضدة التى يجلس إليها" سونيا "ورقم ٣٢٦ ، لاحظت أن عينى الفتاة تفيضان بالدموع فانتهزت الفرصة ووضعت باقة ورد بين يدى "سونيا" وهى تقول :

– إن هاتين العينين الجميلتين الساحرتين لم تخلقا للدموع .. بل للابتسام .. أما فمك البديع هذا فقد خلق .. ولكنها توقفت عن إتمام جملتها بعد أن لاحظت احمرار وجه "سونيا" وكذلك رقم ٣٢٦ الذى اضطرب وعلا وجهه الخجل .

تخلص رقم ٣٢٦ من "كارولين" بحفنة من النقود فانصرفت وهى تبتسم ابتسامة تنم عن الدهاء وبعد أن انصرفت راح الفتى يحملق فى وجه "سونيا" وهو يقول :

– ما الذى يجعلك تبكين أيتها الحبيبة ؟! ألا يرضيك أن تعرفى أن حبى لك يفوق حبك لى أضعافاً كثيرة ؟!.

قالت "سونيا" بصوت خافت غلبه التأثر :

– إن الذى يحزننى هو التفكير فى مصير هذا الحب .

ثم لزمت الصمت فلم يشأ رقم ٣٢٦ أن يدعها هكذا فقال لها :

– كانت المرأة العجوز تريد أن تقول لك أن فمك لم يخلق إلا لتلقى القبلات .. وبما أننى لا أستطيع أن أفعل ذلك فهيا بنا نرقص .

راح الحبيبان يؤديان معاً رقصة رائعة حلقا فيهما عالياً فى سماء

السعادة وكان الفتى يلقى فى أذن فتاته أعذب الكلمات وأروعها .

***

كانت لحظات من الخيال والسعادة لا تجود بها الحياة كثيراً .. وكان لابد أن يفيق كلاهما على الحقائق الأليمة .. فى قمة النشوة والسعادة حيث كان من الواضح للجميع أن هذين الراقصين يحملان لبعضهما البعض أسمى مشاعر الحب .. شعرت "سونيا" بيد تمس يدها التى كانت مستقرة فى هذه اللحظة فوق كتف رقم ٣٢٦ .

هبطت بسرعة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة حيث شعرت بورقة صغيرة تستقر بين أصابعها وبسرعة طردت عن ذهنها حلم الحب الجميل وبحثت بعينيها عمن أعطاها هذه الورقة فوجدت أنه رجل طويل القامة ينظر إليها بحدة بينما كان يراقص صاحبته مبتعداً .

***

بذلت "سونيا" جهداً جباراً حتى تخفى اضطرابها عن صديقها .. كان قلبها يدق بعنف .. وأخيراً تمالكت نفسها فبسطت الورقة الصغيرة بيدها التى تضعها على كتف رقم ٣٢٦ ، فوجدتها عبارة عن رسالة قصيرة كتب بالشفرة التى اعتادت حلها وكان نصها :

(لقد تأخرت عن موعدك مع "جيلوسيك" ساعة كاملة) .

شعرت بالضيق الشديد والانقباض .

حتى فى أجمل أوقات حياتها يطاردها شبح "والتون" ولا يسمح لها بالاستمتاع بهذا الحب الذى اقتحم عليها حياتها اقتحاماً وجعلها تعيش

لحظات من السعادة لم تعرفها طيلة حياتها الحافلة بالأخطار والمآسى والصراعات .. ليتها تستطيع البقاء مع هذا الرجل الذى ملك قلبها إنها تحبه كما أحبت أباها وأخاها وأهلها جميعاً .

ألا يوجد سبيل للهرب من هذا الشيطان ؟.

كلا .. للأسف فهو يضع العيون والأرصاد فى طريقها ويراقب كل خطواتها ويعد عليها أنفاسها وحركاتها .. إن الهروب منه يعد ضرباً من المستحيل .

***

فيما كانت هذه الأفكار تعصف برأس "سونيا" سمعت همسات حبيبها فى أذنها :

– لم أعد أتخيل الحياة بدونك أبداً .

فأشرق وجهها بابتسامة رائعة وهى تشعر بالأمان مع هذا الرجل الذى أحبها بإخلاص .. وشجعها ذلك على التمرد .. فقالت لنفسها .

– لابد من التمرد على "والتون" .. نعم سأتحداه ولن أذهب .. لن أدع حبيبى أبداً .. ثم ضغطت الورقة الصغيرة بين أصابعها وألقت بها إلى الأرض لتطأها الأقدام .

ولكنها تذكرت شيئاً جعلها تنتفض رعباً .. فإن التمرد على إرادة "والتون" سوف يدفعه إلى الانتقام الرهيب وهذه المرة لن ينتقم منها شخصياً بل سينتقم من حبيبها فتكون الضربة أشد وأنكى !!.

إنها تعرفه جيداً فهو طاغية رهيب لا شىء يمكن أن يمنعه من فعل

ما يريد .. وهو لا يعترف بالمشاعر الإنسانية على الإطلاق .

لابد أن تعمل من أجل مصلحة رقم ٣٢٦ وإلا فسوف تكون هى التى قضت عليه .. فمن أجله عليها أن تذهب إلى "جيلوسيك" ، وتطيع "والتون" البغيض حتى لا يمس شعره من رأس حبيبها .. توقفت فجأة عن الرقص وهى تطوح برأسها إلى الخلف مما أزعج رقم ٣٢٦ فقال لها بنبرات تنم عن الفزع :

ماذا حدث أيتها الحبيبة ؟ هل ألم بك شيء ؟

فأجابت :

- كلا .. كلا أيها الحبيب .

إنك تبدين كما لو كنت على وشك الإغماء .. هيا بنا نعود إلى مائدتنا لنستريح قليلاً .

كانت إحدى يديها متكئة على ساعده ، أما يدها الأخرى فقد رفعتها بسرعة إلى عنقها حيث مست قلادتها الذهبية التى انفتح قفلها وسقطت على الأرض ، وكانت "سونيا" شديدة الحرص على تشتيت انتباه الفتى كى لا يلاحظ سقوط القلادة على الأرض .

وبعد أن جلست على أحد المقاعد أتاها رقم ٣٢٦ ببعض الشراب تجرعته دفعة واحدة وكأنها تحاول تقوية عزيمتها التى كادت تخور مرة أخرى .

وبعد قليل كان وجهها قد استعاد حيويته وتألقه فقال لها الفتى هامساً :

- ما الذى أصابك ؟.

فأجابت برقة :

- لا شيء .. دوار بسيط ليس إلا .. فلا تنشغل من أجل هذا .

وبحركة تلقائية وضعت يدها فوق صدرها ثم ارتسمت على وجهها دلائل الانزعاج الشديد وهى تنهض واقفة وتقول :

- ياإلهى .. أين سقطت ؟! .

هتف رقم ٣٢٦ منزعجاً :

- ماذا حدث ؟.

- يبدو أن قلادتى الذهبية سقطت ونحن فى طريقنا إلى المائدة .. أنا واثقة من أنها كانت فى موضعها ونحن نرقص .

- اهدئى يا عزيزتى واطمئنى تماماً.. فسوف أبحث عنها وآتيك بها حالاً

ثم اتجه إلى ساحة الرقص ليبحث عن القلادة تحت الأقدام الراقصة .

وما كاد يذهب حتى نهضت وهى تنظر تجاهه نظرة تفيض بالحزن والألم ثم تناولت معطفها وغادرت المطعم بسرعة .

خرجت إلى الطريق وبسرعة استوقفت سيارة أجرة وأخبرت السائق بالعنوان ثم تهالكت فى المقعد وهى فى حالة يرثى لها.

كان القرار الذى اتخذته صعباً للغاية ناضلت .. نفسها طويلاً حتى تترك حبيبها وتذهب إلى هذه المهمة البغيضة .. وكانت تخشى أن تتراجع مرة أخرى .. فألقت بنفسها داخل السيارة حتى لا تكون هناك فرصة للتراجع .

سيطرت عليها رغبة طاغية في البكاء .. ولكنها لم تتمكن من البكاء .. فكانت فقط تتألم وتئن أنين الحيوان الجريح .

وبينما هي مستغرقة في أفكارها تلك شعرت برأس يطل عليها من نافذة السيارة .. انتبهت بسرعة فوجدت "موربيه" وسمعته يقول :

– لقد تأخرت عن موعدك كثيراً .

ثم ألقى إليها برسالة ووثب مبتعداً عن السيارة .

***

فتحت الظرف فوجدت بداخله مبلغاً من المال وهو الذى تم الاتفاق على تقديمه ثمناً للمعلومات والوثائق التى قدمها إليها الكولونيل "جيلوسيك" ، ومع المبلغ وجدت ورقة صغيرة مكتوبة بالشفرة وعلى ضوء مصباح السيارة الخافت استطاعت حل الرموز وكان نص الرسالة كالآتى :

(لا تعودى إلى منزلك) .

وماكادت تطالع الرسالة حتى أخذتها الدهشة وعصف بها القلق الشديد ترى ماذا يريدون منى ؟ ولماذا لا أعود إلى منزلى ؟ وإذا لم أعد إلى المنزل فإلى أين أذهب ؟ ترى هل يريدون أن يحولوا بينى وبين رؤيه هذا الحبيب الذى لن أستطيع الابتعاد عنه ؟.

هل يريدون أن يضعونى تحت رقابتهم طوال الليل والنهار ؟.

ولكنها لن تستسلم .. لقد فاض بها الكيل .. وسوف تعثر عليه وتصارحه بكل شيء وتستعيد ثقته بها .. فلابد أنه شعر بالقلق من ناحيتها عقب

رحيلها المفاجئ في مرتين من ثلاث مرات تقابلا فيهما .. إنها تحبه ولابد أن تحافظ على حبه لها .

***

نعود إلى رقم ٣٢٦ الذى نهض للبحث عن قلادة "سونيا" ، ولم يستغرق بحثه طويلاً فسرعان ماعثر عليها ثم عاد سريعاً إلى المائدة حيث كان يجلس معها .. كان سعيداً بعثوره على القلادة وقدر أن ذلك سيعيد السعادة إلى "سونيا" .. ولكن سعادته انقلبت إلى غم عندما عاد ولم يجدها ولم يجد أثراً لها.. فقد اختفت حقيبتها ومعطفها ومن المؤكد أنها انصرفت .

أسرع إلى رئيس الخدم يسأله عنها فأخبره الرجل أنها غادرت المطعم منذ قليل .. تعجب الشاب كثيراً ولكنه نجح فى إخفاء انزعاجه ثم تناول قبعته وارتدى معطفه وأسرع ليغادر المطعم .

وجد أحد الخدم بالخارج فسأله عن الفتاة التى انصرفت منذ لحظات ، فأخبره أنها كانت تبدو فى عجلة من أمرها وأنها استوقفت إحدى سيارات الأجرة .. كما أن علامات القلق والانزعاج كانت واضحة عليها .

فسأله رقم ٣٢٦ عن الاتجاه الذى سارت فيه سيارة الأجرة فاعتذر الخادم عن عدم تذكره .

وما كاد يترك الخادم حتى وجد أمامه خادمه "فرنسيس" فقال له بسرعة

– هل شاهدت "سونيا" الآن ؟! .

قال فرنسيس :

– نعم .. ولكننى لم أتحقق منها تماماً ولم انتبه لاتجاه سيارتها ..

حاول رقم ٣٢٦ معرفة اتجاه السيارة ولكن بلا جدوى .. فلم يستطع الاهتداء إلى أثر يهديه إلى ضالته .

وبينما هو فى حيرته تقدم منه غلام صغير ردئ الهيئة حافى القدمين وهمس قائلاً :

- بإمكانى أن أدلك على العنوان الذى ذهبت إليه الفتاة التى تبحث عنها

وسرعان ما قبض رقم ٣٢٦على كتفى الغلام وراح يهزه بعنف وهو يقول

- وماذا تنتظر .. أين ذهبت .. تكلم بسرعة .

ولكن الغلام لم يتأثر وقال بهدوء :

- لا يوجد شيء بلا ثمن ولا بد أنك تعلم ذلك جيداً !!

وعلى الفور دس رقم ٣٢٦ يده فى جيبه والتقط بعض النقود ودفعها إلى الغلام وقال له :

- هيا أخبرنى بما تعرف ولا تضيع وقتى .

ولكن الفتى نظر إلى النقود حيث ظهرت علامات الرضى على وجهه ثم قال :

كانت فتاتك تهمس بالعنوان إلى سائق السيارة ونظراً لقوة السمع لدى فقد سمعت كل ما قالت :

من العجيب انها متجهة إلى حى لا يقطنه إلا المجرمون والأشقياء والخطرون .. وإننى أعرف هذا الحى حق المعرفة .. نعم فإننى أقيم به .. هل تحب أن أذهب معك حتى تتحقق من صدق كلامى ؟!.

هتف رقم ٣٢٦ :

كلا .. إننى أريد العنوان بسرعة .. تكلم

– طلبت من السائق أن يذهب إلى المنزل رقم ١٧ شارع " داون ستريت"
نعم هذا هو العنوان بالضبط .. ولكن إذا أردت أن تعود من هناك حياً
فعليك أن تأخذ معك سلاحاً و ..

ولكن رقم ٣٢٦ لم يتابع باقى أقوال الغلام حيث دلف إلى سيارته بسرعة
وأمر" فرنسيس" أن يذهب إلى العنوان الذى سمعه .

***

كان شارع "داون ستريت " ، عبارة عن زقاق ضيق للغاية لا يكاد يتسع
لمرور سيارة ، وكان رقم ١٧عبارة عن فندق حقير إلى أدنى الدرجات ،
وفوق باب الفندق لوحة يعلن فيها صاحب الفندق أن بإمكان المرء أن
يستأجر غرفة أو أكثر لأية مدة ابتداء من ساعة واحدة إلى عدة أشهر .

وبأفضل حجرات هذا الفندق كان يقيم الكولونيل "جيلوسيك" .

كان هذا الخائن رجلاً جميل الطلعة طويل القامة يتميز بشاربه الأنيق
الذى يعتنى به صاحبه عناية شديدة ..

وقد أحسن "ميركو جيلوسيك" ، اختيار المكان الذى يناسبه تماماً .. فهو
مكان وضيع حقير .. وقد انحدر الكولونيل إلى هذه الهوة نتيجة لحاجته
الشديدة إلى المال بالرغم من ذكائه .. كان أحب شيء لديه في الحياة هو
النساء .. من أجلهن تردى في هذه الحمأة من الأوحال وباع شرفه وتورط
في الخيانة حتى أذنيه .

كان يشترى لهن أغلى الهدايا التى تدل على الثراء وعلى الذوق الرفيع .. ولكنه كما أجاد الإيقاع بالنساء أجاد لعبة الخيانة وتورط فى أمور على درجة عالية من الخطورة فهى تمس أمن الدولة وتتعلق بأدق أسرارها .

عندما جاءت "سونيا" استقبلها "جيلوسيك" ، بابتسامة عذبة تنم عن ترحيبه وسعادته بقدومها ، ورغم جسامة الصفقة إلا أنه لم يبد رغبة فى الحديث عنها .. فقد كان عائداً من غرفة القمار حيث خسر كالعادة مبلغاً من المال وعب كمية كبيرة من الخمر جعلته شعر بنشوة بالغة ويتوق إلى محادثة إحدى النساء ويعتبر الحديث إليها أهم من الصفقة .

عندما لمس الكولونيل ساعد "سونيا" انتفضت وابتعدت عنه ثم تقدمت إلى حجرته وأغلقت بابها ثم وضعت النقود التى دفعها إليها "موريه" ، منذ قليل فوق منضدة تتوسط الحجرة ، ورغم شدة حاجته إلى المال ورغم جسامة المبلغ إلا أن الفتاة استحوذت على اهتمامه وتركزت نظراته عليها .

فبعد أن ألقى نظرة عاجلة إلى رزمة النقود أخذ يصوب نظراته إلى الفتاة ثم ابتسم ابتسامة ذات مغزى .

كانت "سونيا" فى هذه الأثناء تعانى أشد درجات الضيق والاشمئزاز منه ومن كل ما يتعلق "بوالتون" فقالت :

– هيا يا كولونيل أحضر إلىّ الأوراق .. فلابد أن أعود بها خلال ربع ساعة فقط .. فعليك أن تحسم الأمر بسرعة . ولا تنسى أن المبلغ المعروض عليك هو مبلغ جسيم حقاً .. فمن يستطيع بعشرين ألف جنيه ؟!

كما يجب أن تعلم أن القطار الذى سوف ترحل فيه سيتحرك بعد أربع

ساعات تقريباً وأن أهم شرط لتنفيذ الصفقة ، كما علمت من قبل ..أن تغادر البلاد هذه الليلة فهل توافق ؟! .

كان للكولونيل موقف مؤلم مع "سونيا" منذ حوالى شهر عندما جاءته للحصول على الوثائق الحربية وتسليمه المبلغ ، فحاول أن ينال الفتاة وأن يخضعها لإرادته دون أن يقدم الوثائق ، ولكنه ماكاد يشرع فى تنفيذ خطته حتى وجد فوهة مسدسها فوق عنقه ، وأفلتت الفتاة من براثنه بفضل شجاعتها .

ولذا فلم يجرؤ على التفكير فى سلوك هذا المسلك الشائن مرة أخرى حتى لا يتعرض لهزيمة جديدة على يديها .

قال بلهجة تدل على قلة الاكتراث :

– نعم .. سوف أسلمك الوثائق مقابل المبلغ .

ثم توقف قليلاً وهو يتأملها وقال :

– يا له من رجل سعيد الحظ ذلك الذى ينجح فى استمالة قلبك .

ولكنها هزت كتفيها استهانة به .

وبعد قليل كانت تتسلم الوثائق الحربية الخطيرة التى تتعلق بالتحصينات العسكرية لإحدى الدول الكبرى .

أما "جيلوسيك" فقد راح يعد النقود بسرعة كبيرة تدل على تمرسه فى هذا العمل وبعد أن تحقق من صحة المبلغ نهضت الفتاة وهى تقول :

– وداعاً ياكولونيل "جيلوسيك ".

تنهد الرجل وقال :

- ومتى يمكننا أن نلتقي يا "سونيا" ؟.

نظرت إليه نظرة صاعقة ثم قالت ببرود :

- وأنى لي أن أعلم يا كولونيل ؟

ثم قالت بلهجة تقطر بالتهكم والتحقير :

- فلست أعلم متى يتاح لك الحصول على وثائق على درجة كبيرة من الأهمية مثل هذه الوثائق ، ولا أعلم متى سوف يمكنك خيانة وطنك مرة أخرى .. فإذا مااستطعت أن تعد لهذه الصفقة فسوف نلتقي بالتأكيد .

شعر الرجل بالإهانة وامتقع وجهه .. ولكنه تمالك نفسه وابتسم ابتسامة وقحة وهو يقول بنبرات ذليلة .

سوف أرافقك إلى الباب .

ولكنها قبل أن تخرج وجدته واقفاً يقطع عليها الطريق وهو يواصل النظر إليها بوقاحة شديدة وأخيراً قال :

- ألا تزالين ترفضين أن أحصل منك على قبلة واحدة ؟! ..

كانت تهم بصفعه على وجهه ولكنه كان أسرع منها حيث أحاطها بساعديه القويين ولكن غيظها أمدها بقوة هائلة فاستطاعت أن تخلص إحدى يديها منه وكان يهم بتقبيلها ، ثم سددت إليه لكمة بكل قوتها فاستقرت تحت أذنه مما جعله يترنح ويتركها رغماً عنه .

أما "سونيا" فقد خرجت مسرعة وهي تلهث .

ولكنها لم تكد تصل إلى الشارع حتى رأت رقم ٣٢٦، وهو يقف أمام باب الفندق ، وكان وجهه شديد الامتقاع .

وبنظرة واحدة أدرك ماحدث .. فقد كانت الفتاة مضطربة الهندام تناثر شعرها على وجهها وتمزق معطفها فوق ذراعها .. وكان الكولونيل يطل من باب الفندق .

أسرع إليها ولكن دهش عندما رآها تعبر إلى الناحية المقابلة ، ومن الواضح أنها كانت تريد ، أن تبتعد عنه ، وبسرعة قفزت إلى داخل سيارة الأجرة التى كانت فى انتظارها أمام باب الفندق .

لم يشأ رقم ٣٢٦ أن يتعقبها بسيارته قبل أن يعرف سر اضطرابها وما الذى حدث فى الفندق ، وما دخل هذا الرجل بما حدث .

كانت الغيرة تنهش قلبه فاتجه بسرعة صوب الكولونيل الذى كان ما يزال واقفاً أمام الباب وهو يعيد إصلاح ثيابه .. وسأله :

– ماذا كانت تفعل معك هذه الفتاة التى انصرفت منذ لحظات ؟! .

كان الكولونيل "جيلوسيك" ذكياً وخبيثاً .. تمكن من معرفة الحقيقة فوراً وأدرك أن هذا الفتى يحب "سونيا" ويغار عليها وأنه قد فهم الموقف بطريقة خاطئة ، وقرر أن يزيد آلامه فقال وهو يبتسم ابتسامة خبيثة :

– هل تظن أنه من الشهامة أن يتحدث الرجل عن أسرار امرأة تثق به ؟!

كانت الطعنة شديدة جعلت رقم ٣٢٦، يتراجع إلى الوراء قليلاً .. استجمع قبضته وكان على وشك أن يسددها إلى هذا الرجل ولكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة .

أما الكولونيل ، فقد أغلق الباب وأطلق ضحكة ساخرة أشعلت غيظ رقم ٣٢٦ ، وندم أشد الندم على أنه لم يبطش بهذا الماجن القذر

شعر أن الأرض تتزلزل تحت قدميه .. هل يمكن أن تكون تلك هي الحقيقة ؟.

هل يمكن أن تكون "سونيا" قد خدعته خلال المقابلات السابقة ؟.

شعر بدوار شديد يكاد يحطم جمجمته .

هتف متألماً :

- يا إلهي .. ما معنى كل هذا ؟.

أسرع إلى سيارته وأمر الخادم أن يذهب به إلى شارع " بارك ستريت " إلى حيث منزل "سونيا" .. كان يود أن يذهب إليها بسرعة ويعرف لماذا خدعته كما يظن .

شعر أن السيارة تسير ببطء شديد فصاح بالخادم .

- أسرع .. أسرع .

وأخذ يتذكر كم كان فى غاية السعادة عندما ذهب إلى هذا العنوان منذ ساعات وكيف تبدل الحال من النقيض إلى النقيض بهذه السرعة !!.

كان قد هدأ قليلاً وبدأ يستعيد توازنه ويفكر فى الأمر بصورة صحيحة .

ترى ما كنه هذه القوة الجبارة التى تحول بين هذه الفتاة وبينه وتحاول التفريق بينهما إنه يستشعر شيئاً خفياً فى هذا الأمر .

هل استطاع هذا الشيطان الذى تحدث عنه "مايلز جيسون" ، أن يخضع

هذه الفتاة لسلطانه وهى الفتاة الوحيدة التى أحبها منذ وقع عليها نظره لأول مرة ؟! .

وما الذى دفع بها إلى هذا الفندق السيء السمعة ؟.

هل اتخذها أعداؤه وسيلة لصرفه عن عمله وإبعاده عن مهمته الخطيرة التي عاد من أجلها إلى خدمة المخابرات البريطانية ؟ .

وهل تعلم "سونيا" شيئاً عن كل هذا ؟!.

لابد أن يقابلها الآن ويعرف منها الحقيقة .. لابد أن يعرف كل شيء .

وأخيراً .. وقفت السيارة أمام منزل "سونيا" فتنفس رقم ٣٢٦ الصعداء..

***

غادر السيارة بسرعة ثم أخذ يتطلع إلى نوافذ غرفتها التى تناول فيها الشاى معها منذ ساعات قليلة .

كانت النوافذ موصدة ولا ينفذ منها شعاع من الضوء .. ولكنه لم ييأس .. أسرع يرتقى الدرج بعد أن عبر الباب الخارجى وأخيراً وصل إلى غرفتها فأخذ يدق الجرس ولكنه لم يسمع حركة بالداخل .. انتظر قليلاً دون جدوى فقرر أن يقتحم الباب عنوة .

دفع الباب بقوة شديدة ولدهشته وجده ينفتح بكل سهولة فكاد يقع على الأرض لولا أن تمكن من المحافظة على توازنه .

وجد نفسه فى ظلام دامس .. وبعد قليل تمكن من العثور على مفتاح الكهرباء ، وعندما أضاء الأنوار تملكته الدهشة .

كان كل ما حوله فراغاً موحشاً .. لم يكن هناك أى شيء فى منزل "سونيا" .. دخل إلى الغرفة التى تناول فيها الشاى فوجدها خالية تماماً وكذا غرفة نومها !! .

هل يمكن أن تحمل متاعها وترحل بهذه السرعة ؟..

ترى أين ذهبت ؟.

وكيف رحلت ؟.

زاغت عيناه وهو يقف حائراً لاهث الأنفاس داخل منزلها الخاوى ورأسه يكاد ينفجر إن مامر به فى هذه الليلة كان شيئاً عجيباً حقاً .

لم يكن لديه ما يفعله فانصرف مهموماً . عندما وصل إلى السيارة قال له الخادم :

– هل أذهب بك إلى الفندق ؟.

كان الخادم قد أشفق على سيده بعد أن رأى وجهه ممتقعاً .

وبعد لحظات من الصمت والحيرة نظر رقم ٣٢٦ إلى "فرنسيس" وقال :

– كلا.. اذهب أنت إلى الفندق وسوف الحق بك بعد قليل .

فكر الخادم المخلص فى عدم إطاعة أمر سيده فقد كان يخشى أن يصيبه مكروه ولكنه عدل عن رأيه حتى لا يغضب منه واتجه إلى الفندق وهو يقول لنفسه :

– كم حذرته من النساء .. إن المرأة ما تكاد تشغل حياة الرجل حتى تقلبها رأساً على عقب وها هو قد وقع أخيراً فى حب إحداهن !!

ولكن هل تتوقف مفاجآت هذه الليلة عند هذ الحد .. كلا .. فهناك المزيد والمزيد من هذه المفاجآت التى لن يتوقعها رقم ٣٢٦ .

وقف الفتى قليلاً فى شارع "بارك ستريت" وهو فى غاية الحزن والضيق لقد ضاع منه أثر الفتاة الوحيدة التى أحبها .. فلو لم يندفع وراء غيرته الجنونية لتعقبها وعرف منها كل شىء .

ولكن ترى هل هناك من أجبرها على مغادرة منزلها والفرار إلى جهة غير معلومة ؟ أم أنها شريكة فى عصابة تهدف إلى عرقلة جهوده ؟!.

ثم طرد عن ذهنه هذه الفكرة .. فلا يمكن أن تكون "سونيا" البريئة مجرمة آثمة .. إن هذا مستحيل ولابد أنها كانت ضحية لمؤامرة أحكم تدبيرها من قبل شخص مجهول .

ولكنه لن يقف عاجزاً .. سوف يواصل النضال حتى يميط اللثام عن هذه الألغاز ويصل إلى "سونيا" مهما كلفه ذلك .

أما أكثر ما أزعجه أنه تخيل "سونيا" فى ورطة وأنه لابد أن يساعدها فى الخروج منها .

أخرج قلادتها من جيبه وراح يتأملها طويلاً وهو يتذكر وجه صاحبتها الرائع .

أخذ يسير على غير هدى من شارع إلى شارع وهو يقدح ذهنه ويحاول أن يتذكر شيئاً يمكن أن يدله على مكانها دون جدوى .

وبعد فترة شعر بالإعياء يغلبه ولمح أمامه حانة حقيرة فى شارع ضيق وسمع بداخلها نغمات الموسيقى الصاخبة فقرر أن يدخلها ليستريح قليلاً

وينظم أفكاره المضطربة لعله يعثر على حل لهذا اللغز العجيب .

عندما جاءه الخادم طلب منه رقم ٣٢٦ كأساً من الويسكى .. لم يكن معتاداً على تناول الخمور ولكنه كان فى أمس الحاجة إلى شىء يهدىء أعصابه الثائرة .

وما كاد يجرع الكأس ويهم بطلب غيرها حتى شعر بلمسة رقيقة على كتفه وصوت هادىء يقول له :

- كلا .. يكفى كأس واحدة ..

وعلى الفور نظر رقم ٣٢٦ إلى صاحبه الصوت فوجد وجهاً تدل ملامح صاحبه على أنه من أصل يابانى .

ساوره شعور قوى أنه رأى هذاالوجه من قبل ولكنه لم يتذكر أين رآه ومتى كان ذلك ؟.

كانت الليلة مشحونة بالأحداث لدرجة لم يستطع معها أن يرتب أفكاره ويستعيد توازنه ، كما أنه لم يحصل على قدر كاف من الراحة .

ولكن اليابانى لم يدعه لحيرته حيث قال بلهجة هادئة مهذبة :

- أرجوك .. لا تشرب هذه الكأس .

ولاحظ أن رقم ٣٢٦ يتمعن فى وجهه ويفكر .

كان واثقاً أنه رأى هذا الوجه من قبل .. كما أن ابتسامته ليست غريبة ترى أين ؟ وكأن الرجل شعر بحيرة الشاب فقال :

- نعم .. إنه أنا الذى رأيتنى من قبل .. كان ذلك فى فندق "أوليمبيا" ..

في ردهة الفندق .. أما اسمي فهو الدكتور "ماتسوموتو" .. وأنا أعرفك .. وقد تعقبتك من شارع "بارك ستريت" ، حتى دخلت إلى هذه الحانة .

نعم .. لقد تعقبتك خلال رحلتك الطويلة عبر الشوارع والأزقة وأنت تسير على غير هدى وكأنك ضللت طريقك ولا تعرف إلى أين تتجه .

ولكن لتعلم أنك وحدك لم تفشل في هذه الليلة .. فنحن أيضاً فشلنا في أعمالنا .. بل أن خيبة أملي لهروب الفتاة لا تقل عنك إن لم تزد .. بل هي بالفعل أعظم وسوف تعرف الأسباب .. وأعتقد بل هذا مؤكد أنه أحداً ما قد أنذرها في الوقت المناسب قبل أن نهاجمها في منزلها ، ولولا ذلك لقبضنا عليها في منتصف الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

إن العصابة التي تحمي هذه الفتاة على جانب عظيم من الدهاء والحذر!!.

لم يفهم رقم ٣٢٦ شيئاً مما قاله هذا الرجل .. ولم يقرن هذا الكلام أبداً "بسونيا" .. ظن أن في الأمر لبسا ما وسوف ينجلي قال لنفسه :

– ترى ماالذي يقوله هذا الرجل ؟ وما اللعبة التي يريد أن يلعبها معي؟.. ربما كان ثملاً مثلي ولا يدرك ما يقول .. فلما لايتركني وشأني حتى أنس أحزاني وأغرق همومي في كأس من الشراب ؟.

وماأن هم برفع الكأس إلى شفتيه حتى أمسك الياباني بساعده برفق ورده إلى المائدة ثانية وهو يقول :

– أرجوك لا تشرب هذه الكأس .. إنك شاب صغير والحياة مازالت ممتدة أمامك ولست أول من لقي ما لقيت وإن كان نادر الحدوث ، ولكن يجب أن

تعلم أنك لست أول من وقع فى شباك هذه الجاسوسة المحترفة .

ما أن نطق الدكتور "ماتسوموتو" ، بكلمة جاسوسة حتى انتفض رقم ٣٢٦ كأن شرارة مسته فنحى كأسه جانباً وراح يحملق بدهشة فى العينين الضيقين المسلطتين عليه وقال بصوت لا يكاد يشبه صوته :

– ماذا قلت ؟ :

– جاسوسة !!.

– نعم يا صديقى .. إنها جاسوسة ..لكنها ليست جاسوسة عادية بل إنها أمهر جاسوسة سمعت عنها فى حياتى واسمها "سونيا برانيكوفا" ، ولكن لا تحزن .. فإنه لا يسىء المرء أن تخدعه امرأة مثلها .

أخذ رقم ٣٢٦ ، يردد الكلمة المفزعة .. جاسوسة .. جاسوسة .

وأخيراً فهم كل شىء .. أخيراً تبلجت الحقيقة واضحة مشرقة أمام ناظريه .. وكأنه كان أعمى ثم رد إليه البصر .. كيف لم يدرك هذه الحقيقة رغم كل ما فعلته معه !!.

أطلق ضحكة عصبية عبر بها عن خيبة أمله .

مر شريط الذكريات أمام ناظريه .. مع هذه الجاسوسة المحترفة التى عبثت به كما تشاء وكأنه لعبة أطفال لا تساوى شيئاً .. تذكر كيف اقتحمت غرفته وأجادت تمثيل الدور ببراعة وتظاهرت بالاغماء بين يديه ، ثم فرارها العجيب من الغرفة بعد أن تركت قصاصة من الورق .. ثم دعوتها له فى اليوم التالى لتناول الشاى فى منزلها .. وأخيراً موضوع القلادة .. لابد أنها أسقطتها عمداً حتى تتخلص منه فى الوقت الذى أرادته هى وحددته من قبل

أما موضوع هروبها المفاجيء من منزلها فهذا يؤكد كل ذلك .. فلا تفعل ذلك فتاة عادية أبداً .. يالها من فتاة تحيط بها الألغاز ويغلفها الغموض .

من المؤكد أنها فعلت ذلك لتلهيه عن مهمته الخطيرة فى تعقب هذه المنظمة الخفية ومن المستحيل أن تفعل هذه الفتاة كل ذلك دون تخطيط على أعلى مستوى وضعته عصابة محترفة دون شك .

أخيراً توصل إلى حل لهذه الألغاز التى أعيته كثيراً .. ولكنه دفع ثمناً باهظاً للغاية .. ولولا هذا الرجل اليابانى لما تمكن من الاهتداء إلى تلك الحقائق المفزعة ولظل يتخبط فى دياجير الظلام طويلاً .

واصل الدكتور "ماتسوموتو" الحديث فقال :

– لا تحزن يا صديقى ويجب أن تعلم جيداً أنه لا توجد امرأة تستحق أن يحزن الرجل من أجلها كل هذا الحزن .. بل يجب أن يضع الرجل نصب عينيه عمله وواجبه فى المقام الأول .

ظل الدكتور "ماتسوموتو " يتحدث قليلاً على هذا المنوال شأن رجل خبير بالحياة عركته التجارب ، أما رقم ٣٢٦ فلم يستطع استيعاب المزيد .. شعر بأن عقله عاجز عن الفهم بعد كل ما تلقاه من مفاجآت وما وقع له من أحداث خطيرة .

كما شعر بأن رأسه ثقيلة للغاية .

كان يريد أن يستجمع قواه وأن يستعيد السيطرة على أعصابه المضطربة حتى يواصل الحديث مع هذا الرجل الذى أخبره بالحقيقة ، ويبدو انه يعرف الكثير والكثير .. ولكنه فشل تماماً فى السيطرة على نفسه .

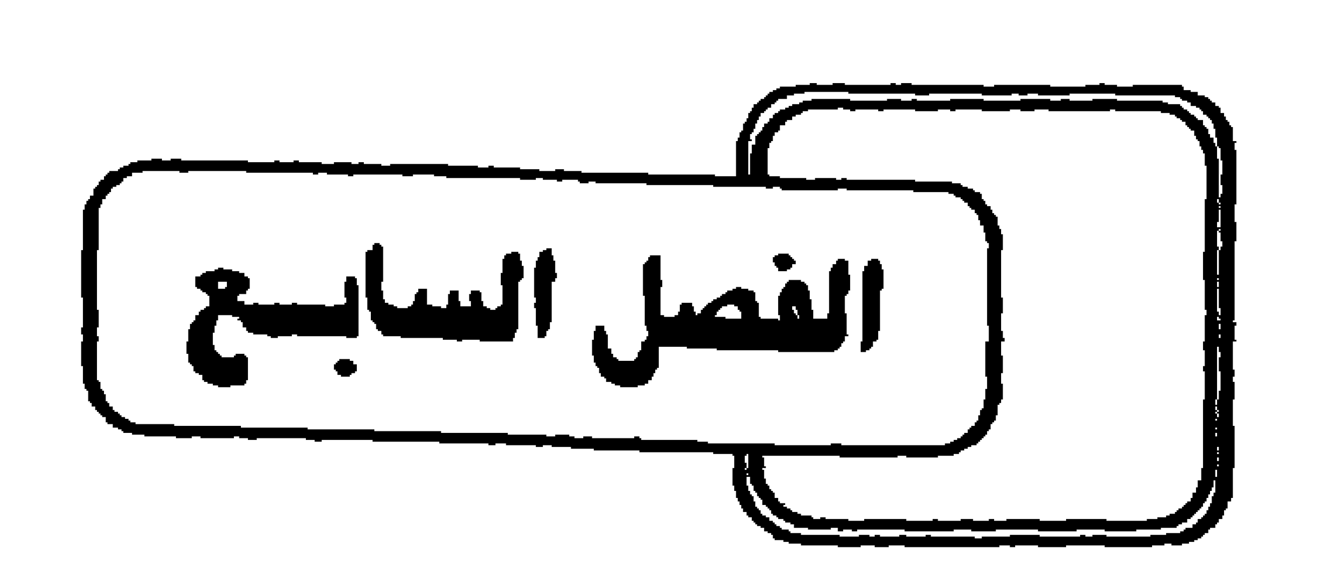
أما الدكتور "ماتسوموتو" ، فقد أدرك حقيقة الوضع فقال :

– عليك أن تعود إلى منزلك لتحصل على قدر من الراحة ، فالنوم العميق خير دواء لك فى هذه الظروف ، ولنتقابل غداً لنواصل الحديث .. إننى لم أحدثك اليوم إلا بالقليل جداً وغداً سوف أخبرك بالكثير .. فعليك أن تتأهب وتستجمع كل قوتك .

أخيراً نهض رقم ٣٢٦ وهو يكاد ينوء تحت وطأة تلك الصدمة التى سحقت قلبه .. كانت تلك أول صدمة فى حياته تلقاها من أول أمرأة يخفق لها قلبه .. فشعر بالعار والخجل لموقفه هذا أما "ماتسوموتو" فقال :

– تشجع ياصديقى .. ولا تنس موعدنا غداً فى منزلى رقم ١٧ شارع "ستور ستريت" .. رقم ١٧ ، هو نفس رقم منزل صديقتك الجاسوسة فلن تنساه ولن تنس اسم الدكتور "ماتسوموتو" طابت ليلتك .

***



الفصل السابع

نعود إلى "سونيا برانيكوفا" ، التى كانت فى أسوأ حال بسبب حبها وإخلاصها لحبيبها الذى لم تعرف اسمه بعد ، وقد دفعت ثمناً باهظاً لهذا الحب ، كانت تعلم أن حبيبها غاضب عليها أشد الغضب ويلعنها ليل نهار ، وكان أشد ما يؤلمها أنه معرض للخطر الشديد فى كل لحظة .. قررت أن تكتب له رسالة مفصلة بالرموز الشفرية التى سوف ينجح فى حلها ليعرف الحقيقة وليحتاط لنفسه ويتخذ أقصى درجات الحرص فى تعامله مع هذه العصابة .. كيف تقول :

(عزيزى

رغم أننى سجينة مسلوبة الحرية إلا أننى أرغب فى الكتابة إليك ولا أملك غير هذا الدفتر الذى أدون فيه يومياتى بهذا الخط الدقيق للغاية وأعلم جيداً أنك سوف تنجح فى قراءته .

للأسف الشديد أشعر شعوراً قوياً بأن هذه الرسالة لن تصل إليك حيث إننى محاطة بعدد كبير من العيون والأرصاد من أتباع هذا الشيطان ، ورغم ذلك فإننى أكتب حتى لا أجن فى سجنى الإنفرادى هذا وحتى لا تقتلنى

الوحدة .

أعلم جيداً أنك كنت توليني ثقتك وحبك ، وأرجو ألا تظن أنني لا أستحق هذه الثقة .. وحتى تعرف الحقيقة وتلتمس لي العذر لابد لي من أن أخبرك بكل شيء من البداية .

وقبل أن أبدأ أقول لك إنني لست أول من تم تكليفه باصطيادك وبالطبع لن أكون آخرهم .. وأن كل ما يحزنني ويشقيني بعد فراقي عنك هو هذه الأخطار المروعة التي تتهددك في كل لحظة .. يجب أن تعلم جيداً أن الموت يتربص بك في كل وقت وفي كل مكان وفي كل شيء .. في الهواء الذي يدخل رئتيك .. في الماء الذي تشربه .. في زر الكهرباء الذي تضغط عليه .. في الطعام الذي تتناوله .. في جهاز التليفون الذي تستعمله .. في كل مكان وفي كل شيء يكمن الخطر .. وما يحزنني ويشقيني أنني لست بجانبك لأتولى حمايتك والسهر على سلامتك كما كنت أنوي قبل سجني .

أما عن عدوك الرهيب فلن يمكنني أن أصفه لك .. كيف أصف لك هذا الإجرام الذي لا مثيل له على وجه الأرض ؟ ! إنه رجل فنان في ابتكار وسائل الشر والبطش وتدمير أعدائه بلا رحمة .. لا يعدم العثور على وسيلة لقتلك فيبدو الأمر في صورة حادث عارض لا شبهة فيه ، كأن تلقى فوقك صخرة أثناء سيرك بجوار عمارة يتم بناؤها .. وقد تصدمك شاحنة وأنت تعبر مفترق الطريق بسيارتك وبعدها يقال إن سائق الشاحنة كان ثملاً .. وقد يسقط بك المصعد من أحد الأدوار المرتفعة .

وهكذا توجد عشرات الطرق التي تبدو في ظاهرها قضاءً وقدراً للتخلص

منك ..حتى إذا قبض على أحد المشبوهين فإنه قد يقتل بطريقة عجيبة قبل التحقيق .. وقد يتم تهريبه من سجنه بطريقة تحير العقول .

لابد أن رئيسك "مايلز جيسون" ، قد حذرك من خطورة هذه العصابة ولكننى أعلم أن تحذيره لم يكن بالدرجة الكافية .. إنه لا يدرك أنهم يفعلون المعجزات حقاً .

ولا تدهش يا صديقى من معرفتى بكل هذه الحقائق .. ولا تفاجأ إذا عرفت أننى من أعضاء هذه العصابة الرهيبة .. وسوف أقص عليك كل شىء بالتفصيل عن كيفية التحاقى بها .. وأننى فى هذا لن أخون زعيمها .. إن ما يدفعنى لأن أقول لك ذلك هو خوفى عليك .. أما زعيمها فهو الشيطان فى صورة إنسان .. إنه لا يمت إلى الإنسانية بصلة فأرجوك ابتعد عن طريقه ولا تحاول التعرض له .

أرجوك أن تواصل قراءة رسالتى حتى النهاية وأن تقرأها بعناية وسوف تدرك كل الحقائق وتلتمس لى العذر على سلوكى الغامض تجاهك .

بداية أقول لك أن اسمى الذى تعرفه هو اسمى الحقيقى وهو " سونيا نيكولا فابرانيكوفا " ، أما والدى فهو البرنس "نيقولا جبريمورجفتش" ، فكان رجلاً فاضلاً يحب الناس ويعمل على إسعادهم بقلبه الكبير وأخلاقه العظيمة وكرمه .. وظل حتى اللحظة الأخيرة فى حياته يناضل فى سبيل سعادة البشرية .. كما كان من تلاميذ الأديب والمفكر العظيم" تولستوى " . ولكن الاختلاف الأساسى بينهما أن "تولستوى" كان يريد أن يجعل من الفلاحين أمراء ، أما والدى فقد فضل أن يرفع مستوى الفلاحين العلمى والثقافى

ليصلوا إلى أسمى درجة بالتعليم وبالخلق الكريم .. كان يعمل على تحرير عقولهم من الخرافات والسخافات المتوارثة ويهدف إلى تأكيد حب العمل فى نفوسهم .

ولا أحب أن أطيل عليك فإننى لو تركت العنان لقلمى ما توقفت عن الخوض فى سيرة أبى الحبيب ، ذلك الرجل العظيم الذى ترك فى نفسى أثراً عظيما لا يمحوه الزمن ، وعندما مات شعرت بأن روحى قد ماتت .. كنت أتحرك فقط لأجل هدف واحد فقط .. وهو الانتقام له وتدمير كل من كان لهم ضلع فى قتله .

وهذه بداية القصة .. ولكن الأمر لم يتوقف عند قتل والدى .. فقد كان لى أخ أحبه كثيراً كان يدعى "ساشا نيكولا جفيتش" ، وقد تذكرته عندما رأيت ابتسامتك فهناك قدر كبير من التشابه بينكما ، وكان "ساشا" مؤمناً تمام الإيمان بمبادىء أبى .

وفى أحد الأيام كنت استقبل ضيوفنا الذين ملأوا قاعة الاستقبال فى القصر ، وكنت أنتظر عودة أبى وأخى حتى يخففا عنى عبء استقبال هذا العدد الكبير من الضيوف ، فلم أكن قد بلغت السن التى تؤهلنى للاضطلاع بهذه المهام الصعبة .

كاد صبرى أن ينفد .. ومرت الدقائق والساعات وأنا انتظر حضورهما بين لحظة وأخرى ولكن دون جدوى .. وأخيراً فى تمام الحادية عشرة قبل منتصف الليل دخل عمى إلى القاعة فتناول يدى برفق وقادنى إلى خارج قاعة الاستقبال .

شعرت بانقباض مخيف بينما وقفنا تحت الساعة البديعة التى لازلت أذكر رناتها المؤثرة .. كانت يد عمى فى برودة الثلج .. ورغم أنه تبادل الضحكات والمجاملات مع بعض المدعوين إلا أن فكه كان يرتعش !!.

قادنى إلى إحدى النوافذ بجوار الساعة ثم قال بصوت مرتجف :

– أرجو أن تعيرينى سمعك أيتها الأبنة الحبيبة .. وحاولى أن تملكى زمام نفسك وألا تصرخى أو تفقدى رشدك عندما أخبرك بما جئت من أجله !!

لقد قبض على أبيك وأخيك بواسطة مكتب المخابرات السرية "الاوكرانا" بتهمة التآمر ضد الدولة وأرسل الأول إلى قلعة "بول" والآخر إلى قلعة "بطرس" ، وقد منعوا عنهما الزيارة وكافة أنواع الاتصال .. ومازال أمامك فرصة أخيرة للهروب خلال هذه الساعة قبل أن يلقوا القبض عليك .. نعم .. إن رئيس "الاوكرانا" " ديمترى ميخايلوفتش " ، رجل متحجر القلب لا يعرف معنى الرحمة .. ورغم تحذير عمى لى فقد تملكتنى نوبة عصبية شديدة ثم أغمى علىّ فلم أشعر بشىء بعدها .

لم يقدر لى بعد ذلك أن أرى أبى وأخى وفيما بعد علمت أنه قد تمت محاكمتهما أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة وصدر الحكم بإعدامهما وتم التنفيذ .

عقب هذه الصدمة المروعة سقطت مريضة تحت وطأت مرض شديد ، وكان الجميع يخشون أن يصيبنى الجنون وليتنى جننت حتى استريح من هول الذكرى .. ولكننى شفيت فى النهاية وإلى هذه اللحظة التى أكتب إليك فيها فإن أملى الوحيد فى الحياة هو العثور على هذا الشيطان "ديمترى

ميخايلوفتش" .. نعم لابد أن أعثر عليه حتى أنتقم منه شر انتقام .

وقعت كل هذه الأحداث وأنا لا أزال طفلة صغيرة .. وقد أعقب ذلك سنوات من الفوضى والاضطربات الشديدة فى أنحاء روسيا قلبت كل الأوضاع ، وضاعت الآثار التى يمكن أن أتتبعها من أجل الوصول إلى هذا القاتل الذى حرمنى من أحب الناس إلى قلبى .

حاول أهلى المستحيل لكى أنسى مآساتى المروعة .. طافوا بى أنحاء العالم .. ولكن دون جدوى فلم أزد على مر الأعوام إلا حقداً على القاتل ورغبة فى الانتقام منه .

وأخيراً وجدت الطريق الذى يمكن أن يقودنى للعثور هذا الرجل .. وذلك عن طريق هذا الشيطان الذى يود القضاء عليك .

لست أعلم حتى الآن كيف عرف هذا الشيطان أننى أبحث عن رئيس "الأوكرانا" .. أخذ يضغط على بكل الوسائل الشيطانية خلال عدة مراحل يجيد هو ورجاله تنفيذها من أجل إخضاع من يرغبون لسيطرتهم .. ولا داعى هنا لسرد التفاصيل المؤلمة ولا التجارب الشاقة التى خضتها معهم حتى لا تثير جراحى القديمة .

ولن أستطيع أن أصف لك مدى الصراع الرهيب الذى نشب بداخل نفسى قبل الموافقة على العمل مع هذا الرجل .

ولكننى فى النهاية قبلت العمل وأصبحت ضمن أعضاء هذه العصابة الرهيبة .. وفى أحد الأيام وكنت فى باريس فاستدعانى الزعيم وقال لى :

– إننى أعلم أنك تبحثين عن هذا الرجل .. وقد أدعى بعضهم انه مات ..

ولكنهم كاذبون يرغبون فى تضليلك .. فإنه ما يزال على قيد الحياة .. ولكن لا أحد يعرفه بعد أن غير اسمه وشكله وعمله .. ولكنك إذا عملت معى بإخلاص ونفذت ما أطلبه منك فسوف أضع هذا الرجل تحت تصرفك يوماً ما .

ورغم أن هذا القول منه كان بمثابة وعد صريح إلا أننى ترددت طويلاً.

كان شديد الدهاء وتوصل إلى نقطة الضعف فى نفسى .. قال لى أنه ليس جاسوساً محترفاً وأنه لا يطمع فى تحقيق مكاسب شخصية بل أنه يجمع الأسرار الدولية ويستخدمها فى الوقت المناسب لغرض واحد وهو استغلالها لتحرير الشعوب المظلومة وإعادة حقوقها إليهما .

وهكذا قررت الانضمام إلى هذا الرجل وأصبحت من جواسيسه .. وبعد فترة أصبحت أكثرهم براعة .

إن اعترافى بكل ذلك يعد دليلاً على ندمى على كل ما اقترفته من أخطاء ولكننى لم أقبل هذا العمل الشائن وأعمل كجاسوسة إلا من أجل تحقيق غرض واحد فقط .. وهو الانتقام من هذا القاتل الذى حطم أملى وقضى على أحب الناس وأقربهم إلى قلبى .

وخلال السنوات السابقة كانت لدى أخطر الأسرار التى تتعلق بالعديد من الدول ، وكانت مصائر العديد من الشعوب فى يدى .. ولكنى أصبحت أعشق المغامرات ونسيت معنى الخوف تماماً .

ولكننى فى أحد الأيام أفقت على حقيقة مروعة .. لقد رأيت نفسى فى المرآة وكأنها المرة التى أرى نفسى فيها على حقيقتها .. كان الشر والحقد

مطبوعاً على وجهى .. شعرت أن عيناى تتألق ببريق الخبث والفساد .

وبدأت أراجع نفسى بعد سنوات من التردى فى حمأة الأوحال .

وكانت مهمتى الأخيرة التى كلفنى بها هذا الشيطان هى مراقبتك مراقبة دقيقة بعد الإيقاع بك فى حبائلى .

لم أكن أعرف عنك شيئاً إلا أنك عدو لنا ، وأنك من رجال "مايلزجيسون" الذين يناصبوننا العداء .. بل إنك أمهر رجاله وأبرعهم فكان من دواعى سرورى أن أنتصر عليك لأحطم رئيسك وألقنه درساً قاسياً .

والحقيقة أن خدعة فندق "أوليمبيا" ، كانت من ابتكارى وحدى ، وقد اتقنتها تماماً ونفذتها بطريقة رائعة .. ولكننى فشلت لأول مرة فى حياتى.

نعم فشلت فى إكمال الدور الذى حددته لنفسى قبل أن أراك منذ أن تظاهرت بالإغماء وتلقفتنى بين يديك .. شعرت بعدها أننى أحترق بكل كذبة ألقيها على مسامعك .

لقد حدث بداخلى انقلاب هائل .

لأول مرة أشعر بالندم على خدعة قمت بها ، وقررت فجأة ألا أخدعك مهما حدث ، ولذلك فررت هاربة من الغرفة ولم أكمل الدور المرسوم .

شعر الرجل الذى أعمل تحت إمرته بما يعتمل فى قلبى ناحيتك .. فقرر أن يغير الهدف من التخلص منك إلى تجنيدك فى صفوفه وكلفنى بالقيام بهذه المهمة .. وشعرت بسعادة طاغية عندها .. فقد كنت فى غاية الشوق إلى رؤيتك .

وأؤكد لك أن مشاعرى نحوك لا يشوبها أدنى شائبة وإننى لم أكذب عليك قط فيما يتعلق بهذه الناحية ، وإن كنت قد كذبت فى أمور أخرى مضطرة ..

وهذه هى المرة الأولى فى حياتى التى يخفق فيها قلبى لإنسان .

وأخيراً فعندما كنت أراقصك أرسل إلىَّ الزعيم أمراً عن طريق أحد أعوانه المنتشرين فى كل مكان .. وكان لابد لى أن أطيع الأمر حتى أنقذك من خطر شديد .. ولست أعلم كيف تمكنت من الحضور إلى الفندق الذى رأيتنى أفر منه ، ولا أعرف ما الذى حدث بعد ذلك لأن الزعيم شعر بدهائه إننى أحبك وأننى أفضل الموت على الإشتراك فى مؤامرة تهدف إلى قتلك أو إلى الإيقاع بك .

فأصدر أوامره بسجنى فى هذه الغرفة .

أما هذه الرسالة التى كتبتها إليك فقد أزاحت بعض العبء عن صدرى وأملى أن تلتمس لى العذر فيما فعلته وأن تتفهم كافة الظروف والملابسات التي مرت بى منذ طفولتى المبكرة .. وإن كنت أشك فى ذلك .

إننى أعرف مدى الخطر الشديد الذى أتعرض له .. ولكن لاشىء يهمنى سواك .. ولا يوجد ما يشغل بالى إلا التفكير فى سلامتك من الأخطار التى تتهددك فى كل لحظة .. ولا أعرف ماذا أفعل من أجلك .. وكل ما أقدر عليه هو تحذيرك .

لقد سجننى الرجل فى غرفة مغلقة لا نوافذ لها ولكننى سوف أقدم خاتمى الماسى الثمين رشوة للحارس الذى يقف أمام بابى حتى يوصل هذه الرسالة إليك .

وداعاً أيها العزيز الغالى وقبلاتى .)

" سونيا "

* * *

أرادت "سونيا" أن تبعث بهذه الرسالة إلى رقم ٣٢٦ .. ولكن الرسالة لم تصل حيث أعيدت إليها فى اليوم التالى وعليها هذه الكلمات .

(قرأت رسالتك بكل اهتمام) .

" والتون "

* * *



الفصل الثامن

ربما كانت تلك هى المرة الأولى التى يسقط فيها الغليون من فم "مايلز جيسون" .. فقد علت وجهه الدهشة البالغة عندما رأى رقم ٣٢٦ يدخل إلى مكتبه .. صاح قائلاً :

– يا إلهى .. ما الذى أصابك ؟.

أجاب رقم ٣٢٦ بصوت خافت :

– إننى .. إننى وجدت خيطاً ضئيلاً يمكن أن يقودنا إلى أشياء هامة .

فقاطعه "جيسون" :

– من دواعى سرورى أن أسمع منك ذلك .. ولكننى أسأل عن شىء آخر . ما الذى أصابك وغيرك إلى هذه الدرجة ؟:

– لا شىء مهم .. كل ما يهمنى هو ذلك الأثر الذى وقعت عليه .

– كلا .. إن هناك شيئاً ما فى منظرك يدل على حدوث تغير كبير بداخلك ليس مجرد العثور على دليل هام يقودنا إلى هذه العصابة .. إن ملامحك تدل على إنك سوف تظل تعانى من هذه الحالة لعدة أسابيع قادمة .

ثم ضرب بقبضته فوق المكتب وصاح :

– ترى من هى المرأة التى فعلت بك ذلك .. إن الرجل لا يحدث له هذا التغيير إلا بسبب امرأة .. فلا تحاول الانكار .

تهالك رقم ٢٢٦ على أحد المقاعد ثم قال :

– لقد كنت شديد الغفلة يا سيدى .. ولكن الانسان لا يتعلم بلا ثمن .. وقد دفعت ثمناً غالياً حتى أتعلم هذا الدرس القاسى .. وأن ما تراه على وجهى هو الأثر الضرورى لتجربة مريرة ولابد أن يزول مع الأيام .

ولكن هل تعرف رجلاً يابانياً يدعى الدكتور "ماتسوموتو" ، ويقيم فى رقم ١٧ ش "ستور" ؟!.

قال "جيسون" :

– أعرفه ولكننى لا أعرف عنه الكثير .

– وهل يمكن أن يكون صديقاً لنا أم نضعه فى خانة الأعداء ؟.

– لا يمكننى الحكم عليه .. ولكننى أظن أنه رجل شريف إلى حد بعيد.

– فهل يمكننى أن أسترشد بأقواله فى بعض الأمور الهامة ؟!.

– وهذا أيضاً لا أعلمه .

– أسدى هذا الرجل إلىّ معروفاً وأخرجنى من ورطة شديدة تعرضت لها بعد أن وقعت فى حبائل فتاة بارعة تمكنت من إبعادى عن عملى بعض الوقت وجعلتنى أعيش فى حالة غير طبيعية ، وتطورت الأمور ، وكان الرجل يراقبها وتمكن من تهدئتى فى الوقت المناسب بعد أن علم بخداعها

وأخبرنى أن هذا ليس غريباً من جاسوسة محترفة تعد من أبرع الجواسيس على الإطلاق .. وقد أنقذنى من الجنون .

أما الخيط الذى توصلت إليه نكان أيضاً عن طريقها حيث رأيتها فى أحد الفنادق سيئة السمعة وكان هناك موعد بينها وبين رجل يقيم بالفندق .

وبعد أن جعلنى الرجل أفيق من الوهم الذى كنت أحيا فيه وأعادنى إلى صوابى قررت الذهاب إلى هذا الفندق على الفور لمعرفة أى معلومات عن هذا الرجل .. ولكننى عندما ذهبت إلى هناك فى صباح هذا اليوم علمت أن الرجل قد رحل إلى جهة غير معلومة .

ولكننى رغم ذلك تمكنت من الدخول خلسة إلى غرفته ولكننى فشلت فى العثور على أدنى أثر ، ويبدو أنه رجل شديد الحرص لدرجة أنه أزال بصماته عن مقبض الباب .. ولكننى أستطيع الوصول إليه ومعرفته وسط ألف شخص .

ومازلت أذكر تحذيرك إلى يا سيدى بالحرص الشديد خشية الوقوع ضحية لمؤامرة ولكننى رغم ذلك سقطت فى الشرك واستطاعت امرأة أن تصرفنى عن عملى .. وعلمت أن هذه المرأة تعمل تحت إمرة هذا الشيطان الذى حذرتنى منه مراراً .. لقد كان ذكياً داهية .. فلم يحاول التعرض لى بل أرسل إلىّ من حققت أفضل النتائج وكادت تقضى علىّ .

ونحن إذا ما تعقبنا أثر هذا الرجل فلابد أن يقودنا إلى المرأة التى خدعتنى ثم إلى زعيم هذه العصابة الذى حيرنا زمناً طويلاً .

أخرج "مايلز جيسون" ألبوماً من أحد أدراج مكتبه يتضمن عدداً كبيراً

من الصور الفوتوغرافية قدمه إلى رقم ٣٢٦ وقال :

– ابحث عن صورة هذا الرجل بين صور العديد من صور المشبوهين من الرجال والنساء التي تجدها في الألبوم .

أخذ رقم ٣٢٦ يتصفح الألبوم بسرعة ويمعن النظر في كل صورة حتى أشار إلى إحداها وصاح :

– ها هو .. إنني واثق أنه هو .

كان يبدو عليه الانفعال الشديد والغيظ .

ألقى "جيسون "نظرة على الصورة ثم قال ..

– هذا هو الكولونيل "ميركو جيلوسيك" .. إنه يعمل رئيساً للأركان في إحدى دول البلقان .. ومن الصعوبة أن نشتريه ليس لأنه رجل شريف أو أمين كلا فهو سيء السمعة شديد الإسراف .. ولكن من يريد شراءه لابد أن يدفع له مبلغاً باهظاً .

وسوف أمدك بالمزيد من المعلومات عنه .

دق جرساً أمامه وبعد قليل دخل إلى الحجرة رجل نحيف حاد النظرات قال له "جيسون" :

– نريد أن نعرف ما لديك من أخبار "جيلوسيك" يا رقم ٩٦ ..

قال الرجل :

إنني اراقب الكولونيل "ميركو جيلوسيك" ، منذ أربعة أشهر ، وهو يحضر من دولته في البلقان إلى هنا مرة كل شهر على الأقل ، وهو مقامر شديد

الإسراف يهوى مرافقة النساء والإنفاق عليهن بغير حساب .. آخر عشيقاته هى "مادج كلارنس" ، التى تعمل بمصلحة التليفونات توقف الرجل فجأة والتفت الى رقم ٣٢٦ وقال :

– هل تشك فى صحة هذه المعلومات ؟.

– كلا ..

استأنف الرجل حديثه فقال :

منذ ٤٦ ساعة بالتمام ذهب الرجل إلى مكتب البريد وتسلم من هناك ثلاثة خطابات مسجلة وفى اليومين الأخيرين من إقامته بلندن نزل بفندق سىء السمعة فى شارع "ستريت" وفى الساعة الخامسة من صباح اليوم زار رقم ٣٢٦ الغرفة وقد فتشها بدقة .. أما الكولونيل "جيلوسيك" فقد عاد إلى بلده بالبلقان بقطار الشرق السريع الذى غادر المحطة فى تمام الساعة الرابعة والدقيقة الثانية من هذا الصباح .

قال ٣٢٦ للرجل :

– شكراً .. إن معلوماتك فى غاية الدقة .

ثم التفت صوب "مايلز جيسون" وقال :

– سوف ألحق به عن طريق إحدى الطائرات .. فما رأيك ؟.

قال "جيسون" :

– إذا كنت واثقاً من إمكانية الحصول على بعض المعلومات الهامة من هذا الرجل فإننى أوافقك على اللحاق به .

ولكن هل أنت على استعداد للسفر الآن .

– نعم .. سوف أتصل بخادمي وأطلب منه حمل أمتعتي وانتظاري بالمطار حالاً .. وإذا كان الوقت يسمح فسوف أذهب لمقابلة الدكتور "ماتسوموتو" ، إنني أشعر بالثقة فيه ويمكنه أن يمدنا ببعض المعلومات .

أما "جيسون" فقد اتصل بشركة الطيران ودار حديث قصير بينه وبين مدير الشركة ثم وضع السماعة وقال يخاطب رقم ٣٢٦ :

– لقد حجزت لك شركة " ايرولويد " ، مقعداً على الطائرة رقم ١٨٢ وسوف تغادر الطائرة المطار بعد ٤٥ دقيقة من الآن .

وعلى الفور نهض رقم ٣٢٦ ، وصافح رئيسه بحرارة ثم إنطلق بسرعة خارجاً من مبنى جهاز المخابرات ثم استقل سيارة أجرة وقفت به بعد ٩ دقائق أمام منزل الدكتور "ماتسوموتو" .

فتح الدكتور الباب بنفسه .. وبعد أن رحب بزائره بحرارة وأبدى سروراً بالغاً لحضوره دعاه للدخول .

وفي إحدى الغرف دار حديث قصير بين الرجلين ولكنهما رغم حرصهما الشديد لم يلاحظ أن هناك فتاة صغيرة لم تتعد العاشرة من عمرها كانت تلصق أذنها بباب الحجرة وتلتقط كل كلمة ينطقان بها .

كانت هذه الفتاة قد التحقت بخدمة الدكتور "ماتسوموتو" منذ أسبوعين فقط وتدعى "كيتي" .

وقبل أن يغادر رقم ٣٢٦ المنزل كانت الفتاة قد استخدمت جهاز الإرسال الذي أمرها به "والتون" وأخفته داخل تمثال "بوذا" في إرسال الرسالة التالية

(سـوف يسـتـقل رقم ٣٢٦ الطائرة رقم ١٨٢ مـقـعـد رقم ٦ ليطارد الكولونيل "ميركو جيلوسيك") ..

وبعد أن انتهت الفتاة من مهمتها جلست تنظف غليون سيدها ولم تلتفت عندما مر بها ٣٢٦ فى طريقه للخروج .

بعد ثلاث دقائق من وصول الرسالة كان "والتون" يقرؤها .. ثم استغرق فى تفكير عميق لمدة دقائق قليلة .

وفى ذات اللحظة التى حلقت بها طائرة رقم ٣٢٦ فى السماء كان أحد عملاء "والتون" فى البلقان قد تلقى برقية سرية يأمره فيها بإبلاغ وزارة الحربية فى تلك الدولة التى ينتمى إليها "جيلوسيك" أن الرجل خائن ، وأنه قد ارتكب جريمة الخيانة العظمى وباع أسرار وطنه وأسرار الحصون العسكرية والقوات التى يتولى مسئوليتها إلى جهات معادية مقابل مبلغ ٢٠ ألف جنيه .. ودليل الخيانة هو هذا المبلغ الموجود فى جيبه .

***



الفصل التاسع

كان وزير الحربية فى هذه الدولة بالبلقان يتميز بشدة حبه لوطنه ، كما كان يتميز بالبساطة وحب الدعابة .. أما ياوره الخاص الكابتن " دى ويت " فقد كان على العكس من ذلك .. شديد الحرص على التقاليد والمجاملات ..

فى هذا اليوم كان الوزير جالساً إلى مكتبه وأمامه اثنان من كبار القادة وقد انغمس الثلاثة فى شئون العمل .

وفى هذه الأثناء دخل الكابتن "دى ويت" .. وكان وجهه مكفهراً بصورة لم يرها الوزير من قبل ، ولكن الوزير لم يشأ أن يبدأ بالسؤال عما يشغله بل قال له بلهجته البسيطة :

– ماذا أتى بك أيها العزيز ؟ هل تقبل لفافة تبغ ؟! .

أجاب الرجل بلهجة مقتضبة :

– أشكرك يا سيدى .

وهنا لاحظ الوزير شدة امتقاع ياوره الخاص كما لاحظ أنه يرتعش فسأله :

- ماذا ألم بك يا صديقى ؟.

لم ينطق الرجل بل نظر إلى الضابطين نظرة ذات معنى فهمها الوزير على الفور، وقال بلهجة حادة :

- يمكنك أن تتكلم أمامهما بلا حرج .

ولكن الكابتن "دى ويت" .. قال بصوت مرتعش :

- إن الكولونيل "مالوسكى" يطلب مقابلتك بخصوص أمر على درجة عظيمة من الخطورة ..

صمت الوزير لحظة ثم قال مخاطباً "دى ويت" :

- وهل تعلم ما الذى يريد "مالوسكى "أن يخبرنى به ؟.

- نعم .

- حسناً .. هيا أخبرنى به .

- إننى أفضل أن يخبرك الكولونيل "مالوسكى" بالأمر شخصياً .

ظهر الضجر على وجه الوزير فألقى لفافة التبغ وقال :

- إنك تعشق تعقيد الأمور .. حسناً .. استدع الكولونيل "مالوسكى".

كان معروفاً عن الكولونيل إنه رجل غيور على وطنه .. صادق .. حاد كالسيف .. ورغم قوة أعصابه إلا أنه كان يرتعش .. فبادره الوزير بقوله :

- هيا يا صديقى قل ما عندك بدون حاجة إلى مقدمات .. ما هذا ؟ يبدو أنك ستخبرنا بشىء خطير !!.

نظر الرجل بحدة إلى رئيسه وقال :

– معك حق يا سيدى .. لقد علمت الآن فقط من مكتب المخابرات السرية باسم الخائن القذر الذى باع أسرارنا الحربية الخطيرة .

أحدثت كلمات الكولونيل "مالوسكى" رد فعل رهيب حيث توتر الجميع ولاذوا بالصمت وكأن فوق رؤوسهم الطير.. وتعلقت عيونهم جميعاً بشفتى الرجل الذى لاذ بالصمت .

كان الوزير هو أول من تحدث فقال بلهجة قاطعة :

– هذا بالفعل شيء خطير.. فمن هو الخائن ؟.

حاول الرجل أن ينطق ولكن لسانه خانه .. كرر المحاولة مرتين حتى تمكن أخيراً من النطق فقال :

– إن الخائن هو الكولونيل "ميركو جيلوسيك" يا سيدى .

ولأول مرة انفجر الوزير غاضباً وقد ترنح وكأنه أصيب بضربة صاعقة ثم ضرب المكتب بقبضة يده وصرخ فى وجه الرجل :

– هل جننت أيها الرجل .

تمالك الكولونيل "مالوسكى" أعصابه بصعوبة ثم تراجع إلى الوراء خطوة وقام بتأدية التحية العسكرية وقال :

– سيدى ..

أفاق الوزير وأدرك مدى خطئه فى حق الرجل فرد تحية الرجل وكان ذلك بمثابة اعتذار ثم تهالك فى مقعده وأخفى وجهه بيديه .

خيم الصمت على الجميع وسكنت حركاتهم .وبعد قليل نظر الوزير نظرة

ذات مغزى إلى "مالوسكى" ، فأدرك هذا الأخير ما يقصد الوزير وقال :

– نعم يا سيدى إن ماذكرته هو الحقيقة بعينها .. وإننى لم أحاول أن أخبرك بالاسم إلا بعد أن فحصت كل الأدلة وتحققت من صحتها .

قال الوزير :

– أريد أن أرى هذه الأدلة وأفحصها بنفسى .

أخذ الوزير يفحص أدلة خيانة "جيلوسيك "، بعناية شديدة حتى تحقق من خيانة الرجل فشعر بالحزن الشديد وقال "لمالوسكى" :

– وكيف عرفت أنه هو الخائن ؟.

أجاب "مالوسكى" بعد تردد يسير :

– إن شخصاً مجهولاً اتصل بى وأخبرنى بخيانة "جيلوسيك".. ربما كان الأمر مجرد انتقام وتصفية حسابات بين الخونة .. وكان من الطبيعى ألا أصدق هذا الاتهام الرهيب خاصة وأن "جيلوسيك" ، كان موضع ثقتنا جميعاً ولا يمكن أن يتطرق إليه الشك كما كان دائماً موضع احترامى وتقديرى .. ولكننى عندما فحصت الأدلة أيقنت أن الإتهام صحيح للأسف ولم يعد هناك أدنى شك لدى .

قال الوزير :

– إنك على حق .

أما "دى ويت" فقد قال للوزير :

– إن إلقاء القبض على رجل مثل "جيلوسيك"يعتبر فضيحة مدوية ستلحق

بنا جميعاً .. صمت "دى ويت" إثر نظرة حادة من الوزير الذى أخذ يفكر فى هذا الاقتراح فوجده وجيهاً وأخيراً قال :

– معك حق .. إن إلقاء القبض عليه سوف يسىء إلى سمعة الجيش كله نعم يجب ألا يلقى القبض علية حتى لا يسىء إلى الجميع .. ولكن .. الوقت نفسه يجب عليه أن يدفع ثمنا غالياً لخيانته .

عليكما أن تنتهيا من هذا الموضوع اليوم .. بمجرد وصول قطار الشرق .

كولونيل "مالوسكى" لابد أنك فهمت ما أعني ولا حاجة بى إلى الإيضاح .

أجاب "مالوسكى" :

– نعم .. لقد فهمت يا سيدى .

قال الوزير :

– وأرجو أن تصطحب معك الكابتن "دى ويت" فى هذه المهمة .

***

أخيراً وصل قطار الشرق إلى المحطة فنهض "جيلوسيك" استعداداً للنزول من القطار فحمل حقيبته وأمتعته وكانت بيده رسالة مكتوباً على غلافها .

(مكتب رقم ١٣ يحفظ بشباك البريد) .

ثم استقل سيارة أجرة إلى منزله .

كان يشعر بسعادة لاحد لها .. كان يود أن يعب من ملذات الحياة ويستمتع بكل لحظة فيها بقدر ما يستطيع .

دهش عندما لم يجد خادمه في انتظاره على رصيف المحطة ، ولكنه أرجع ذلك إلى نزوات الخادم التى تماثل نزوات سيده وغرامه بالنساء .

كان الرجل سعيداً يعزف بشفتيه لحناً شجياً وهو يصعد السلم بعد أن أمر السائق بترك حقائبه على الرصيف .

ضغط جرس الباب ولكن الخادم لم يفتح .. غضب "جيلوسيك" وقال :

– ياله من شقى .. أيصل به الإهمال إلى هذا الحد .. سوف أحاسبه حساباً عسيراً .

ثم فتح الباب .

وقبل أن يضىء الأنوار لمح شبحين لشخصين فى غرفته .. فضحك وهو يقول لنفسه :

– ها هو الخادم التعس ضبط متلبساً مع صديقته .

ولكنه ماكاد يضىء الأنوار حتى صعق من هول المفاجأة .. شعر أن فى الأمر خطراً ساحقاً يتهدده فتراجع إلى الوراء .. لم يكن مدركاً لنوع هذا الخطر ولكنه كان واثقاً من حدوث شىء غير سار !!.

شعر بطنين شديد فى أذنيه .. وأخيراً تمالك نفسه ونظر نظرة متسائلة إلى الرجلين فقال الكولونيل" مالوسكى" :

– مرحباً يا مسيو "جيلوسيك" .

إزداد شعور "جيلوسيك" بالرهبة .. لقد قال "مالوسكى" "مسيو" ، ولم يقل " الكولونيل" ، ماذا يعنى هذا ؟ شعر بساقيه ترتعشان .

نهض "مالوسكى" وراح يتكلم بصوته الهادىء وبطريقة آلية أخذ يذكر على مسامع "جيلوسيك "جميع التهم الخطيرة الموجة إليه .. وبعد أن انتهى سأله :

– هل تنكر شيئاً من التهم المنسوبة إليك ؟.

وبعد صمت طويل أجاب "جيلوسيك" بصوت كأنه يأتى من بئر سحيقة :

– كلا .

ثم ساد سكون رهيب .

كان الرجلان ينتظران أن يقدم "جيلوسيك "على اتخاذ خطوه ما .. ولكنه لم يدرك حقيقة الأمر ثم قال :

– هل ستلقيان القبض علىّ ؟!.

فأجابه "مالوسكى" بلهجة جافة :

– كلا .. نحن لا نريد إلقاء القبض عليك .. فالأمرأخطر من ذلك .. إنه يتعلق بسمعة الجيش .

وهنا أدرك "جيلوسيك " كل شىء .. فسار مترنحاً وألقى بنفسه على أحد المقاعد .. وبعد قليل قال :

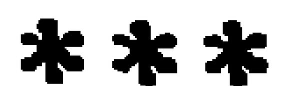
– هل تسمحون لى بكتابة رسالة ؟.

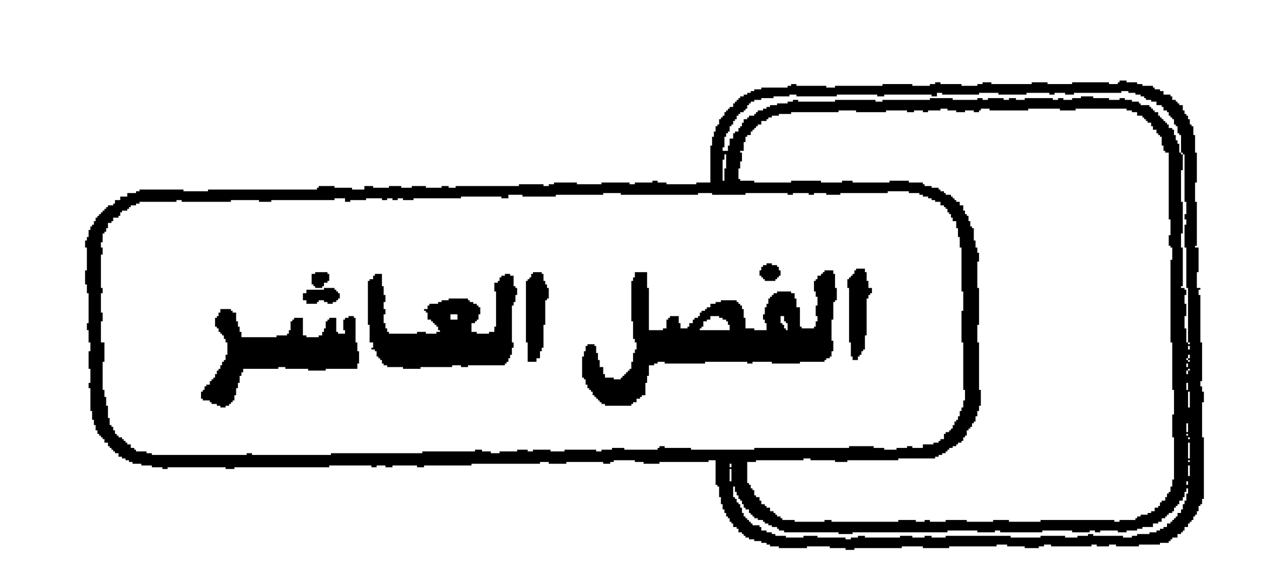
ولكن "مالوسكى" رفض بحزم .

فقال "جيلوسيك" .. من الطبيعى أن من يقتل فى حادث عارض لا يكتب رسالة وداع قبل موته .. كم كانت الحياة بديعة جميلة .. وكم أحببت النساء والموسيقى والغناء .. ياإلهى ما أصعب أن يرغم الإنسان على الموت .

وأخيراً نهض وطلب منهم مسدساً .. فوضع "دى ويت" مسدسه فوق المائدة ثم انسحب هو وزميله إلى خارج الغرفة دون كلمة وداع لزميلهما الخائن .

وبعد عشر دقائق سمعا صوت الطلق النارى ثم سقط جسد "جيلوسيك" على الأرض فأديا لجسده التحية العسكرية ثم انصرفا .





الفصل العاشر

أخيراً وصل رقم ٣٢٦ إلى عاصمة دولة "جيلوسيك" .. وها قد اقتربت ساعة انتقامه من الرجل الذى يشاركه فى الفتاة الوحيدة التي أحبها والتى لا تبارح صورتها خياله رغم كل ما حدث !!.

هبطت الطائرة أرض المطار الذى كان مغلفاً بالضباب فى هذه الساعة المبكرة ولذلك فلم يلمح هذا الرجل الذى يراقب كل من يهبطون من الطائرة وكأنه يبحث عن شخص ما .

كان رقم ٣٢٦ يسير مسرعاً عندما اصطدم الرجل به عامداً ثم تفرس فى وجهه وراح يتبعه بعد قليل قال الرجل مخاطباً رقم ٣٢٦ :

– سيدى .. هل أسألك سؤالاً .. أريد أن أتحقق أنك ولدت فى صباح يوم السادس من فبراير فى الساعة الثالثة ؟!..

تمهل رقم ٣٢٦ فى سيره ثم سأل الرجل بدوره :

– وهل تتذكر أنت اليوم الذى تزوج أبوك من أمك فيه ؟.

أجاب الرجل بصوت لا يكاد يسمع :

– بالطبع .. لقد تزوج فى الثامن عشر من يونية .

وبهذه الطريقة تم التفاهم بين رجلى المخابرات السرية ثم قال رقم ٣٢٦:

– مرحباً بك .. أرجو أن تكون لديك سيارة سريعة فإننى فى عجلة من أمرى ولابد من استغلال كل ثانية .

لكن الرجل ابتسم ابتسامة هادئة وقال هامساً :

– كلا يا سيدى .. لا توجد أى حاجة بك للعجلة .. فإننى لا أظنك طالعت صحف المساء ؟..

شعر رقم ٣٢٦ بقلق شديد وبأن هناك شيئاً ما قد حدث أحبط مسعاه وفوت عليه الفرصة للنيل من هذا الرجل والتوصل إلى مجرد خيط يقوده إلى العصابة .. فأجاب :

– كلا .. كيف أقرؤها مادمت وصلت منذ دقائق معدودة !!

فقاد الرجل رقم ٣٢٦ إلى بقعة مضيئة ثم أخرج من جيبه إحدى الصحف وقدمها له وأشار إلى خبر فيها .. فقرأ ما يلى :

(علمت الجريدة وقت مثولها للطبع أن الكولونيل "ميركو جيلوسيك" ، قد توفى بالسكتة القلبية وذلك عقب دقائق من وصوله من لندن ، وقد توفى فى منزله .

وإننا لنأسف لرحيل هذا الضابط المحبوب الذى كان بانتظاره مستقبل عظيم) .

وهكذا تحطمت آمال رقم ٣٢٦ وانتهت جهوده الشاقة إلى لا شيء .. لم يستطع أن يصدق ، فأعاد تلاوة الخبر مرة أخرى .

شعر بالضيق والغضب العاصف .. إن موت هذا الرجل قد حرمه من فرصة الانتقام منه .. كان يتمنى أن يقبض على عنقه ويعرف مدى صلته "بسونيا" .. التى أحبها كما لم يحب أحداً من قبل .. ومن أجل أن يسمع إجابة هذا السؤال قطع هذه المسافة الطويلة وخاض هذه الأهوال الجسيمة لمطاردة غريمة .

ولكن ها هو الرجل قد مات .. أو قتل نتيجة لمؤامرة ما .. وها هى الفتاة يضيع أثرها الوحيد ولكن ما أحدثه من آثار بنفسه لن تزول أبداً .

كلا .. إن "ميركوجيلوسيك" لم يمت بالسكتة القلبية .. نعم .. لا يمكن أن تكون هذه الوفاة طبيعية .. ولابد أن هناك مؤامرة غامضة وراء هذه الوفاة المفاجأة .. فمن المؤكد أن عدوه الخفى قد علم بطريقة ما بنية مطاردة "جيلوسيك" ، فأراد أن يحرمه لذة الانتقام .

شعر رقم ٣٢٦ بمرارة شديدة .. فقال وكأنه يخاطب غريمه الراحل :

– مادمت لم أستطع أن أنتقم منك فسوف أنتقم لك .

طوى الصحيفة واحتفظ بها فى جيبه وتنهد ثم قال لرفيقه :

– هل يمكنك أن تشرح لى ما حدث "لجليوسيك" ؟.

كان الرجل على علم بكل ماحدث للكولونيل منذ أن وصل إلى المطار حتى أرغم على أن ينتحر فى منزله .. فذكر كل هذه الأحداث باختصار لرقم ٣٢٦ ثم قال :

- لقد انتظرت وصول الرجل فى المحطة .. حسب التعليمات التى أبلغت بها .. وعرفته بسهولة بواسطة الصورة التى أرسلت إلىّ .. أخذت أراقبه ولم يشعر بى .. بل إنه لم يشعر بشيء وقتها حيث كان يبدو .. سعيداً للغاية شديد الثقة بنفسه .

لفت نظرى أنه يحمل رسالة بيده ولم يلاحظ أننى تمكنت من قراءة العنوان المدون على غلافها .. ومن العجيب أنه كان مهتماً بأن يلقيها بنفسه فى صندوق الخطابات .

فقاطعه رقم ٣٢٦ بانفعال :

- هل تذكر العنوان ؟.

- بالتأكيد .

ثم أخرج من جيبه مفكرة صغيرة وقرأ :

(جيلوسيك .. مكتب البريد رقم ١٣ .. يحفظ بشباك البريد) ..

ثم استطرد قائلاً :

- وأننى أظن أن "جيلوسيك" أراد أن يبعد هذا الخطاب عنه على سبيل الاحتياط .. فربما تعرض لحادث ما أو تم تفتيشه مثلاً .

شعر رقم ٣٢٦ بانفعال شديد .. فقد أتت رحلته الشاقة بنتيجة غير متوقعة .. نظر إلى ساعته وقال للرجل :

هيا احملنى بسرعة فى سيارتك إلى مكتب البريد رقم ١٣ .. هيا أسرع لقد قمت بعمل رائع أيها الرجل .

وبعد قليل وصلا إلى مكتب البريد .

لم يلحظ الرجلان وجود رجل يراقبهما ويتبعهما فى إحدى سيارات الأجرة .. وعندما دخلا إلى المكتب دخل خلفهما وهو يتظاهر بكتابة برقية .

على الفور اتجه رقم ٣٢٦ إلى الموظف المسئول وأطلعه على أوراقه الشخصية فسلمه الموظف مظروفاً كبيراً .. كان هو المطلوب .

تطلع حوله بنظرة فاحصة ولما لم يجد ما يريب فتح المظروف بهدوء وأخرج محتوياته .. كان به تسع ورقات نقدية جديدة من فئة الألف جنيه ولاحظ أنها ذات أرقام مسلسلة .. فهمس زميله فى أذنه :

– يالها من ثروة !!.

أجابه رقم ٣٢٦ :

– إن هذا المبلغ هو ثمن خيانته بلاشك .

بمجرد أن انتهى من فحص محتويات المظروف أرسل رقم ٣٢٦ برقية عاجلة إلى رئيسه "مايلز جيسون "هذا نصها :

(عليكم أن تعرفوا من هو الذى تسلم الأوراق النقدية فئة الألف جنيه من بنك انجلترا من رقم ى .ل ٣٤٨٠ إلى رقم ى . ل ٣٤٨٨ وإرسال الرد فوراً) .

وماكادا يغادران مكتب البريد حتى كان الرجل الذى يراقبهما يتصل تليفونياً بلندن وينقل إلى "والتون" نص البرقية التى أرسلها رقم ٣٢٦ إلى

جيسون ..

***

في هذه الأثناء كانت تجرى مراسم توقيع المعاهدة الهامة بين بريطانيا العظمى واليابان وذلك في دار السفارة اليابانية بلندن .

كان التوقيع يتم في حضور أربعة أشخاص فقط وهم السفير الياباني والمندوب البريطاني السير "روجو ليسلين "ومستر "مايلز جيسون" والدكتور "ماتسوموتو" ..

وفي هدوء شديد قام السفير الياباني والسير "روجر ليسلين" بتوقيع هذه المعاهدة الخطيرة وتبادل الرجلان الوثائق وهنأ الجميع بعضهم البعض على إنجاز هذا العمل الكبير الذى استغرق وقتاً وجهداً كبيرين في التحضير والإعداد .. وكانت علامات الارتياح والسرور واضحة على وجوه الحضور وإن اختلفت طريقة تعبير كل منهم عن حقيقة مشاعره .

وبعد تبادل الوثائق كما تقضى بذلك الأعراف الدبلوماسية تم وضعها في أظرف وتم إغلاق هذه الأظرف بالشمع الأحمر .

ثم استأذن السير "روجر ليسلين" والمستر "مايلز جيسون" للانصراف .

كان السير "ليسلين "يشعر أن في هذه المعاهدة الكثير من النواحي الإيجابية والتي ستعود بالخير على بريطانيا العظمى ، وكذلك فإن اليابانيين سيجنون منها العديد من الفوائد الهامة فهم ماكرون لا يتنازلون بسهولة ولا يمنحون المزايا بدون مقابل .

***

بعد أن انصرف البريطانيان بقى السفير اليابانى والدكتور "ماتسوموتو" بمبنى السفارة حيث وقفا أسفل صورة امبراطور اليابان المعلقة فوق أحد الجدران .

وبعد فترة من الصمت .. قال السفير للدكتور "ما تسوموتو" :

- إنك فى غير حاجة إلى معرفة خطورة تلك الوثيقة التى تحملها ، ولا إلى ضرورة التزام اليقظة والحذر الشديدين .. فإن هذا الحديث يمس وطنيتك وشرفك .. وهذا شيء فوق مستوى الشكوك .

فبدت على وجه الدكتور آيات الخشوع والاحترام وقال بأدب :

- لا تقلق يا سيدى .. سوف تصل المعاهدة إلى جلالة الامبراطور اليابانى .. وإننى أضمن ذلك بحياتى .

قال السفير بنفس اللهجة المهذبة :

- إننى أثق فى ذلك .

بعد انصراف السفير من الحجرة أخرج الدكتور" ماتسوموتو" ثلاثة ظروف من درج مكتبه .. كانت الظروف متشابهة تماماً فى اللون والحجم والشكل وبكل منها رباط من الحرير الأحمر كما لصقت أطراف الأظرف بالشمع الأحمر .

وبعد أن وضعها على مكتبة وتأملها قليلاً دق أحد الأجراس .

وبعد قليل دخل من باب جانبى ثلاثة من اليابانيين .

كان منظرهم متنافراً مع الفخامة والأناقة التى كانت عليها السفارة ..

حيث كان الثلاثة فى صورة حقيرة زرية .. ملابسهم بالية وهيئتهم تدل على الذل والفقر .

وكانت هذه خطة "ماتسوموتو" لتضليل من يرغب فى تعقبهم .. أما فى الحقيقة فقد كان هؤلاء الثلاثة أبناء لنبلاء اليابان .. تلقوا أحسن تعليم وتدريب ، كما يجيدون عدداً من اللغات ويتمتعون بقدرات كثيرة .. وفوق كل ذلك فهم شديدوا الإخلاص لامبراطور اليابان ولدولتهم اليابان التى هى أمهم الكبرى .

أما دينهم فهو الاستشهاد فى سبيل اليابان .

نظر إليهم الدكتور "ماتسوموتو" ثم تحدث إليهم بصوته الهادئ فقال :

– فى أحد هذه الظروف الثلاثة توجد أخطر وأهم معاهدة قامت اليابان بإبرامها فى المائة سنة الأخيرة سوف يأخذ كل منكم إحداها ويسلك إلى اليابان طريقاً مختلفاً عما سلكه زميلاه .. وعلى كل منكم أن يصل برسالته سليمة الأختام إلى الأمبراطور .. ومن لم يفعل فهو غير جدير بالانتماء إلى دولة اليابان .

ساد الصمت عدة لحظات قبل أن يناول الدكتور ماتسو موتو ، إلى كل منهم أحد الظروف وعلى الفور قام الثلاثة بإخفائها تحت ملابسهم وانحنوا أمام الرجل بخشوع ثم اتجهوا نحو الباب ..

راح الدكتور "ماتسوموتو" ينظر إليهم نظرات تفيض بالحزن والألم والرثاء كان واثقاً من أنه لن يراهم بعد ذلك .. وأن أحداً منهم لن يصل برسالته إلى اليابان .. وإن من يصل منهم لن يكون على قيد الحياة .

نعم .. إنهم يسيرون إلى حتفهم ما فى ذلك شك .. وهو الذى فعل بهم ذلك .. فخلال الفترة الأخيرة أختفت كل الوثائق الخطيرة التى قام الرسل بحملها وفى معظم هذه الحالات كان حاملوا الرسائل يختفون تماماً فى ظروف غامضة .. وفى الحالات القليلة كان يتم سرقة الرسائل بحيل مدهشة للغاية .

ولذلك فإن مصير الثلاثة معروف مسبقاً .. إما الموت .. وإما ضياع الرسالة .. وإما الاحتمالان معاً ، أما سرقة الرسالة فهى شىء مؤكد !!.

ولكن ماذا كان بيد الدكتور "ماتسوموتو" ، أن يفعله .. كان لابد من هذه التضحية الهامة حتى ينفذ خطته وينقذ المعاهدة الخطيرة من عبث العابثين .

***

أما الوثيقة الحقيقة فقد تناولها الدكتور "ماتسوموتو" ووضعها فى إحدى الصحف بعناية ثم حملها تحت أبطه وغادر السفارة متجهاً بخطى ثابتة إلى منزله .

تسلل بحذر شديد إلى المنزل حتى لا يشعر به مخلوق ..

كان يود مغادرة المنزل والرحيل عن لندن بهدوء شديد .ودون أن يدع أحداً يعلم بذلك أبداً .. حتى الفتاة الصغيرة كيتى التى ألحقها بخدمته أخيراً لم يكن ينوى أن يخبرها بنبأ رحيله ..

كان يحب هذه الفتاة حباً شديداً ويعطف عليها كما لو كانت ابنته ويتمنى أن يودعها الوداع اللائق ولكن .. للضرورة أحكام .. والمهام الجسيمة التى

يضطلع بها لا تعرف الضعف أمام عاطفة ما .. مهما كانت .

لكنه كان ينوى ترك كل ما فى المنزل للفتاة هدية لها وجزاءً لها على إخلاصها وتفانيها فى خدمته خلال هذه المدة القصيرة .

تسلل إلى غرفته وأخرج حقيبة أمتعته فأفرغها ووضع الوثيقة الخطيرة بها ثم أخذ يرتب ثيابه فوقها بطريقة عادية تماماً قبل أن يغلقها .

أخيراً انتهى وكان على وشك التسلل بهدوء إلى خارج المنزل كما دخل .

كان يود ألا تشعر "كيتى" بخروجه مما يسبب لها ألماً هى فى غنى عنه .. وفى نفس اللحظة التى كان يهم فيها بمغادرة الغرفة سمع حركة قرب الباب التقطتها أذناه الحادتان .

ترك الحقيبة وتأهب لملاقاة القادم .

رأى الفتاة واقفة بخشوع وذلة وكانت تنظر إليه نظرات تفيض حزناً وتعاسة .. أسرع إليها وقد غلبته عاطفة الشفقة وراح يربت عليها وهو يقول :

– ألا تزالين مستيقظة "يا كيتى" ؟ لماذا لم تنامى ؟

– كنت أنتظرك لأعد لك الشاى .. ولكن هل أنت راحل يا سيدى؟..

وفاضت عيناها بدموع غزيرة .. فمسح الدكتور "ماتسوموتو" على رأسها وقال :

– من الذى أخبرك أنى راحل ؟ ولماذا كل هذا البكاء ؟ إننى فقط أقوم بتنظيم حاجياتى ولكننى إذا قررت الرحيل فسوف أخبرك وسأترك لك هدية

ثمينة .

ازداد حزن الفتاة وتواصل بكاؤها وهى تقول :

- لا توجد هدية فى العالم يمكن أن تعوضنى عن عطفك .

- لا داعى الآن لهذا الحديث يا عزيزتى .. وثقى أننى إذا قررت الرحيل فسوف أوصى بك أحداً من الأصدقاء ليواصل العناية بك .. لقد اخبرتنى منذ قليل إنك كنت بانتظارى حتى تعدين لى الشاى .. فهيا أئتنى به .

ثم ربت عليها بحنان .. فذهبت إلى المطبخ لإعداد الشاى .. وكان قد علمها كيف تصنع الشاى على الطريقة اليابانية حتي أصبحت ماهرة فيها .

كانت هذه العقبة البسيطة من الأشياء النادرة التى لم يحسب لها حساب ولم يكن قد فكر من قبل أن يوصى بها أحد الأصدقاء ولكن يمكنه أن يفعل ذلك وإن كان قد أوصى لها بكل مافى المنزل من أثاث ومتاع ، كما شعر بالألم لحزنها العميق على فراقه .

وبعد دقائق كانت تدخل الحجرة حاملة الشاى .

***

هب "ماتسوموتو" من مقعده فجأة ونظر فى ساعته ودهش .. لقد انقضت حوالى ساعة وهو مستغرق فى النوم .

حقاً لقد نام فى مقعده فجأة بعد أن استولى عليه النعاس بطريقة عجيبة !!.

ولكن كيف حدث هذا وقد كان على أهبة الرحيل ؟! .

كان أول ما فعله أن صاح منادياً "كيتى" .. ولكنه لم يسمع جواباً .. فذهب إلى حجرتها وناداها مرة أخرى ولكن بدون جدوى ...فقال لنفسه :

– يا لها من فتاة مسكينة .. من المؤكد أن الحزن قد غلبها على أمرها فنامت

عاد .. مرة أخرى إلى حجرته ولكنه تلقى صدمة مروعة زلزلت كيانه.. فقد وجد الحقيبة مفتوحة ومحتوياتها مبعثرة .

جمدته الصدمة فى مكانه لحظة .. ثم وثب إلى الحقيبة وراح يبحث بين الأمتعة عن الوثيقة الخطيرة .. وهو لا يكاد يصدق عينيه .

ولكن بلا فائدة .. فقد اختفت الوثيقة !!.

لا يمكن أن يحدث ذلك .. لا يمكن أن تسرق منه وثيقة المعاهدة الخطيرة وهو الموكل بحمايتها والمحافظة عليها بحياته .

وعلى الفور اندفع إلى غرفة "كيتى" وأخذ يطرق الباب بقوة .. ولكنها لم تفتح .. فدفعه بعنف ودخل إلى غرفتها .

ولكنه لم يجد لها أثراً !!.

بحث عنها فى أرجاء المنزل بلا جدوى .. لقد اختفت "كيتى" كما اختفت الوثيقة !!.

شعر بألم هائل ولم يعرف ماذا يفعل .

تهالك على أحد المقاعد ووضع رأسه بين كفيه وأخذ يفكر فى هذه

الكارثة المدمرة .. ماذا يمكن أن يفعل بعد أن وقعت المعاهدة فى يد الأعداء ؟!.

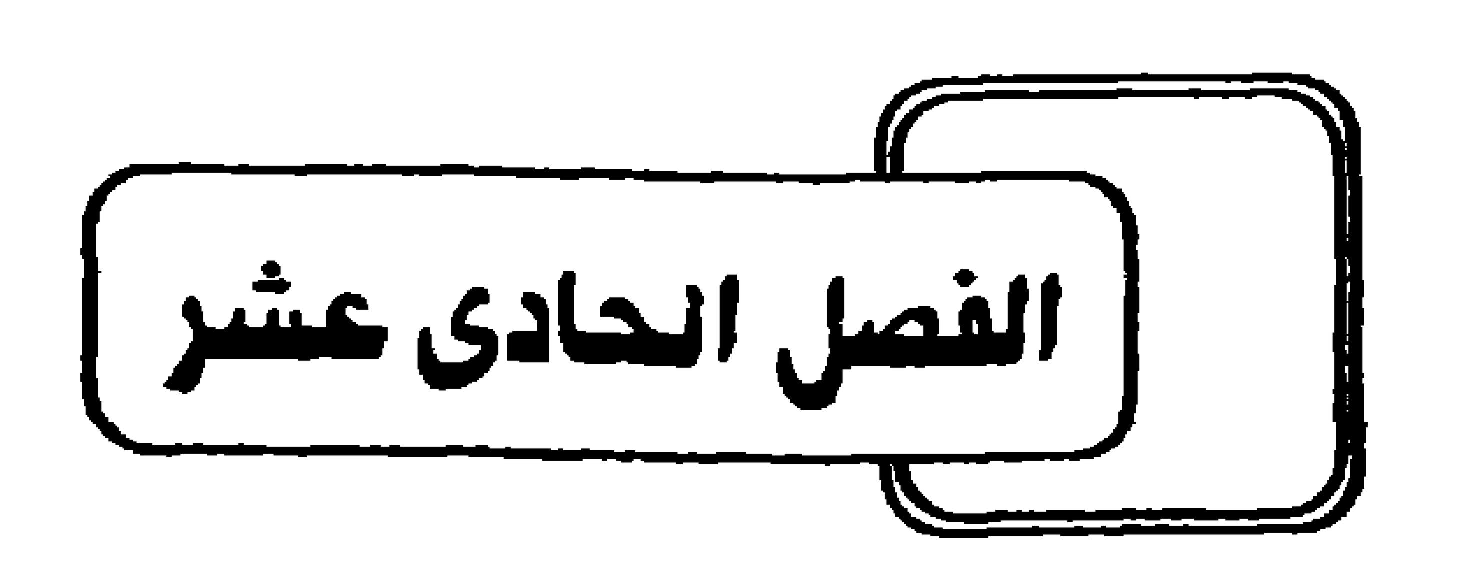
إنه غير جدير بأن ينتمى لليابان التى تلفظ من كان على شاكلته .

هل بلغ به الغباء أن يثق بفتاة لا يعرف عنها شيئاً .. وليت الأمر اقتصر على ضرر لحق به .. ولكن الضرر لحق بوطنه كله بسبب هذه اليتيمة المسكينة التى أولاها عطفه ورعايته .. كاد عقله ينفجر بعد التفكير .

جلس إلى مكتبه فكتب رسالة وبعد أن انتهى منها ارتدى ثوبا من الحرير الأبيض ثم أخرج سيفه وتحقق من حدة نصله .

توقف قليلاً أمام النافذة المفتوحة يستنشق الهواء النقى لآخر مرة فى حياته ثم فعل ما يفعله اليابانى الشريف إذا أراد أن يغسل عاره .

***



الفصل الحادى عشر

ولكن هل يكف "والتون " الشيطان عن حيله وألاعيبه التى لا تنتهى أبداً .

وقفت" سونيا" أمامه وهى تشعر بالحقد الشديد تجاهه بينما قال لها بلهجته الناعمة :

- لا تنظرى إلىّ هكذا .. لقد استدعيتك إلى هنا لأننى فى أشد الحاجة إليك .

ولكن "سونيا" نظرت إليه نظرة كشفت عما يعتمل بداخلها من كراهية شديدة ولم تعقب .. كان الرجل ينظر إليها وهو جالس إلى مكتبه ومن خلفه بيترا ، التى تكاد تكون كظله لا تفارقه أبداً .. واصل الحديث بصوته الهادىء العميق قائلاً :

- ألا تريدين الاقتراب منى قليلاً "ياسونيا" .

ولكنها نظرت إليه ذات النظرة القاتلة ثم دار بعقلها تساؤل منطقى .. ترى ماذا يريد هذا الثعبان ؟ .. وما هى لعبته الجديدة التى سوف يبدأها معها الآن ؟!.

فوجئت "سونيا" بوالتون" يمد إليها يده ليصافحها ولكنها لم تمد يدها إليه .. فقال بحزن :

– هل ترفضين مصافحتى ؟.

قالت على الفور :

– نعم .

– كما تشاءين .. إذا كانت هذه هى رغبتك فإننى أحترمها .. فأنت فى مركز أقوى من مركزى ودائماً لا يتنازل القوى ويصافح الضعيف .. لا تتعجبى من هذا الكلام .. فلديك كل الإمكانيات التى تؤهلك للفوز فى أى صراع ..

فهل أنت متأكدة أنك تحبين هذا الرجل ؟!.

أجابت "سونيا" بدون تردد :

– نعم .

شعر الرجل بحرارة الإجابة وبإخلاص الفتاة فى حب هذا الشاب الذى يناصبه العداء .. قال "والتون" :

– مادمت تحبينه فإنك لست فى حاجة إلىّ ولكننى فى أمس الحاجة إليك وهذا هو المهم يجب عليك أن تساعدينى وأن تقولى إنك ستفعلين ذلك كما ذكرت منذ قليل أنك تحبين عدوى اللدود .

شعرت الفتاة بأنه بدأ ينصب لها الفخ فنظرت إليه لعلها تستشف شيئاً مما يعتمل فى نفسه أما هو فقد واصل الحديث الذى يبدو أنه أعده سلفاً

فقال :

- ألا تزالين غاضبة عليّ لأنني وضعتك في السجن ومنعتك من إرسال قصة حياتك إلى حبيبك وهو عدوي اللدود كما تعلمين وكما ينبغي أن تتذكري دائماً ؟!.

حسناً .. لا تصافحيني .. سأتركك تفعلين ما يحلو لك .

ولكن ألم تسألي نفسك ما هو شعوري وأنا أراك تتخلين عنا بعد أن عملت معنا بنشاط وإخلاص خلال هذه السنوات ثم تنضمين إلى عدوي اللدود .. إن ابتعادك عني يفقدني سلاحاً من أمضى أسلحتي وأشدها خطراً على الأعداء .

نعم إنني أعتراف أنك موهوبة بحق ولا يمكن لامرأة أخرى أن تفعل ما تفعلين من سيطرة على الرجال وقدرة فائقة على التمثيل .. ولكن مالنا ولهذا الحديث الذي فات أوانه .. فقد أعلنت العصيان وتمردت على صفوفنا .

التزمت "سونيا" الصمت رغم انها كانت تود أن تصارحه بحقدها الشديد عليه ولكنها لم تجد لديها القدرة على ذلك .. ظلت تصغي لكلماته الناعمة علها تصل إلى الغرض الذي يرمي إليه .. فمن غير المعقول أن يضيع الرجل وقته الثمين من أجل إطراء مهاراتها وينكرها بمواهبها الفائقة .. قال "والتون" :

- إنني أرى في عينيك الجميلتين الساحرتين ما يؤكد صدق حديثي .. نعم إن الوميض الذي يشع منهما يؤكد أنني فقدتك الى الأبد .. ومن المستحيل أن أحاول استعادتك مرة أخرى .. هل صدقت فراستي "يا سونيا

أجابت الفتاة بسرعة وبدون تفكير :

- نعم .

- إن هذا رائع جداً .. ولابد أنك علمت جيداً بعد سنوات من العمل معى أننى لا أحاول أن أحقق المستحيل .. ولذلك فإننى أعيد إليك حريتك مرة أخرى .

ثم توقف فجأة عن الكلام وراح يتطلع إلى وجهها بعينيه الحادتين ولاحظ على الفور مدى اضطرابها وارتعاش أناملها .

واصل الرجل حديثه فقال :

- فهل اقتنعت بالأسباب التى دفعتنى إلى إطلاق سراحك ؟ لابد أنك ستكونين فى غاية السعادة للتخلص منى .. ولكننى أمد إليك يدى مرة أخرى لاثبت لك حسن نيـتى تجاهك .. فهيا صافحينى حتى نتحدث بصراحة أكثر .

مدت إليه يدها وهى مترددة فقال متصنعاً الدهشة :

- يا إلهى .. كم هزلت يداك أيها الفتاة الرائعة .. لم أكن أتخيل أن الحب يمكن أن يفعل بك كل هذا .

وعند ذلك غلبها الانفعال فلم تقدر على أن تتحكم فى مشاعرها وانفجرت باكية .. فصاح الرجل :

- لماذا تبكين "يا سونيا" .. إننى أعيد إليك حريتك وأرجو ألا تظنى يوماً أننى أردت بك سوءاً .. نعم فأنت حرة من الآن ويمكنك الاتصال بحبيبك كما

تشاءين .. وإنني من كل قلبي أتمنى لك السعادة وأن يظلل الحب كل أيامك القادمة .

ولكنني أرجو ألا يفكر صاحبك في أمري أبداً .. وعليك إقناعه بالابتعاد عن طريقي تماماً والكف عن هذا الصراع .. هل يمكنك أن تفعلي ذلك يا سونيا ؟!.

يمكنك أن تقنعيه أن يبحث له عن هدف آخر فالأرض واسعة ولن تضيق بمن عليها من أمثاله وأمثالي .. فليدع "والتون" المسكين وشأنه .. نعم .. يجب أن تتحدثي إليه عن كل ذلك .. وبعد فإنني أطلب منك شيئاً صغيراً .. أنها مجرد مساعدة تؤدينها من أجل "والتون" المسكين ولن تكلفك كثيراً .

وأخيراً بدأ "والتون" يكشف أوراقه .. فصاحت به "سونيا" :

– ماذا تريد من وراء هذه المناورة الطويلة ؟! هل الأمر مجرد التلاعب بأعصابي وتحطيم ما بقي لي من قوة تحمل ؟.

– ماذا تقولين أيتها العزيزة .. أؤكد لك أنني لا أريد بك إلا خيراً .. إنك تتحدثين بدافع من يأسك واليأس يدفع الانسان إلى سوء الظن .. إن هذا صحيح يا فتاتي .. فمن الواضح أنك لم تصدقي كلمة مما قلتها .. لقد وعدتك أن أعيد إليك حريتك ولكنني في نفس الوقت أطلب منك خدمة ، ليست مقابل حريتك ولكنها مصادفة .. فلن يستطيع أحد أن يؤديها لي كما تفعلين نعم كنت أتمنى أن أعفيك من هذه المهمة البسيطة ولكنني اعترف بعدم وجود فتاة أخرى تملك مثل قدراتك ومواهبك الفذة بل ودهائك المنقطع النظير .. ولكنها كما قلت لك مهمة بسيطة للغاية .

تطلعت نحوه الفتاة بنظرات حائرة متسائلة .. وأدرك أن صبرها كاد ينفذ وأنها تريد أن تعرف طبيعة المهمة التى سوف يكلفها بها .

أخرج رزمة من الأوراق فى حجم ورق اللعب من ظرف فوق مكتبه ثم قدمها إلى "سونيا" .

راحت الفتاة تفحص الأوراق التى كانت عبارة عن عشرات الصور الفوتوغرافية الدقيقة للغاية للمعاهدة التى تم توقيعها بين بريطانيا العظمى واليابان ، والتى تمت سرقتها من منزل الدكتور "ماتسوموتو" المسكين .

قال "والتون" :

– إنك لا تعلمين أن بيدك الآن صور لأخطر المعاهدات التى تم توقيعها خلال الفترة الأخيرة فهى المعاهدة بين بريطانيا العظمى واليابان .. وقد راح الدكتور" ماتسوموتو "ضحية لها .. إنه وغيره من اليابانيين يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن كل تقصير منهم فى خدمة أمهم الكبرى اليابان يعتبر من قبيل الخيانة العظمى التى يجب أن يغسل الإنسان عارها بدمه .

ويبدو أن الدكتور "ماتسوموتو" قد تلقى صدمة مروعة عقب اكتشاف اختفاء وثيقة المعاهدة من حقيبته قبل قليل من سفره إلى بلاده .. وقد نجحنا نحن فى سرقتها بسبب طيبة قلب الرجل وعطفه الشديد على "كيتى" الفتاة المسكينة التى تمكنت من خداعه بصورة تثير الدهشة والإعجاب .

إنها حقاً فتاة رائعة "يا سونيا" وقد رفعها هذا العمل إلى درجة عالية وأعتقد أنها هى التى ستخلفك بعد ذهابك ، فلا ينقصها إلا جمالك الفاتن وسحر عينيك .

شعرت سونيا بأن الرجل يحكم قبضته الفولاذية الخفية حول عنقها فقالت :

- والدكتور "ماتسوموتو" .. ماذا حدث له ؟.

لقد انتحر ..

- وماذا عن "كيتى" ؟.

- إنها مازالت تتمتع بنعمة القناعة وترضى حتى الآن بما يقدم إليها ، وجزاء لنشاطها ولإخلاصها وطاعتها منحتها عقداً رائعاً من اللؤلؤ .

صمتت "سونيا" قليلاً وهى تفكر بسرعة .. وقد كادت تفهم طبيعة المهمة التى سيكلفها بها هذا الشيطان .. وأخيراً سألت :

- وماذا تطلب بالتحديد ؟.

- قبل أن ينتحر الدكتور "ماتسوموتو" فى منزله كتب رسالتين .. الأولى للسفير اليابانى أما الأخرى فكانت لرقم ٣٢٦ .. كلا "يا سونيا" لا تنزعجى لقد وصلت الرسالتان بسلام .

قالت "سونيا" بلهجة تفيض بالمرارة والسخرية اللاذعة :

- نعم .. لقد وصلتا إليك بدون شك .

- لم أكن فى حاجة إليهما "يا سونيا" لأن أمر سرقة المعاهدة كان سيعرف على كل الأحوال .. وقد سارع السفير اليابانى إلى الاتصال بالسلطات البريطانية التى فرضت إجراءات أمنية صارمة للغاية حتى لا يتم تسريب المعاهدة أو صورها إلى خارج بريطانيا .. فالمطارات والموانىء

وجميع طرق المواصلات البرية أصبحت تحت رقابة مشددة حيث يتم تفتيش كل ركاب الطائرات والسفن والسيارات تفتيشاً دقيقاً .

ومن ناحيتى .. فإننى أريد أن تصل صورة المعاهدة إلى السفير الأمريكى فى باريس فى موعد أقصاه التاسعة من صباح الغد .

ها هى المهمة التى أطلبها منك" يا سونيا" ولا أثق فى أحد سواك يمكن أن يؤديها فهل تقبلين رجائى ؟! .

أطرقت "سونيا" قليلاً وهى تفكر وتعمل عقلها لتقدر كافة الاحتمالات .. وفى تلك اللحظة التى أطرقت فيها وقع بصرها على ورقة صغيرة فوق مكتب "والتون" كان مدوناً بها هذه الأرقام :

٣٢١٣٣ .. فحفظتها جيداً وطبعتها فى ذاكرتها .

قال "والتون" يستحثها :

– ماذا قررت .. هل توافقين ؟.

أعلم جيداً أنك لست من طراز "كيتى" وغيرها .. وأن مجرد عقد من اللؤلؤ أو غيره من الهدايا الثمينة أو النقود الطائلة لن تجعلك توافقين . ولكنى أعد لك مكافأة أعظم من ذلك" يا سونيا" .. نعم .. فسوف أمنحك حريتك وأضمن لك سلامة الرجل الذى تحبينه .. وإننى أعدك ألا تمس شعره من رأسه مهما حدث .

لم تستطع "سونيا" أن تصدق وعد "والتون" .. فراحت تطالعه بنظراتها الفاحصة وكأنها تود النفاذ إلى أعماق نفسه لتعلم مدى نصيب هذا القول من الصحة ولكن أنى لها ذلك !!

استطرد الرجل قائلاً :

- هذه هى الصفقة واضحة أمامك .. فهل تقبلين يا" سونيا" ؟!.

ولكنها ظلت على صمتها .. فمد إليها يده وقال :

- هيا فلنتصافح ولنبارك هذه الصفقة الرابحة لكلينا .. ولتكن أيضاً بداية جديدة للصداقة الدائمة والود بيننا يا "سونيا" .

كان كل ما يفعله هذا الرجل يثير فى "سونيا" الغضب والغيظ ويؤكد لها أنه شيطان مريد لا يقدم شيئاً إلا ويخفى الكثير من الأشياء خلفه .ولكنها تمالكت نفسها وقالت بنبرات هادئة لا تفضح حقيقة مشاعرها:

- من أسهل الأشياء عليك أن تخدعنى يا مستر " والتون" .. ولكننى أنصحك أن تعيد التفكير مرة أخرى إذا كنت بصدد خدعة جديدة وذلك من أجل مصالحك أنت .. إنك تعلم ما الذى يمكن أن تفعله المرأة إذا شعرت بأنها خدعت .

وأخيراً مدت يدها لتصافحه وهى تقول :

- ولكننى أريد وعداً صريحاً بعدم إيذاء الرجل الذى أحبه .

وعلى الفور قال الرجل :

- إننى أعدك بذلك يا " سونيا" .

وبعد أن تصافحا التقط تلك الورقة الصغيرة التى كانت فوق مكتبه ثم طواها بعناية ووضعها فى جيبه .

عقب ذلك جلست الفتاة أمامه وهى تصغى بكل حواسها إلى تفاصيل تلك

المهمة ، وراح " والتون" يزودها بكافة المعلومات الضرورية ويلقى إليها بتعليمات كثيرة تتعلق بأدق الأمور كما هى عادته دائماً .

ثم سلمها صورة للمعاهدة كما زودها بجواز السفر وتذكرة إلى باريس .

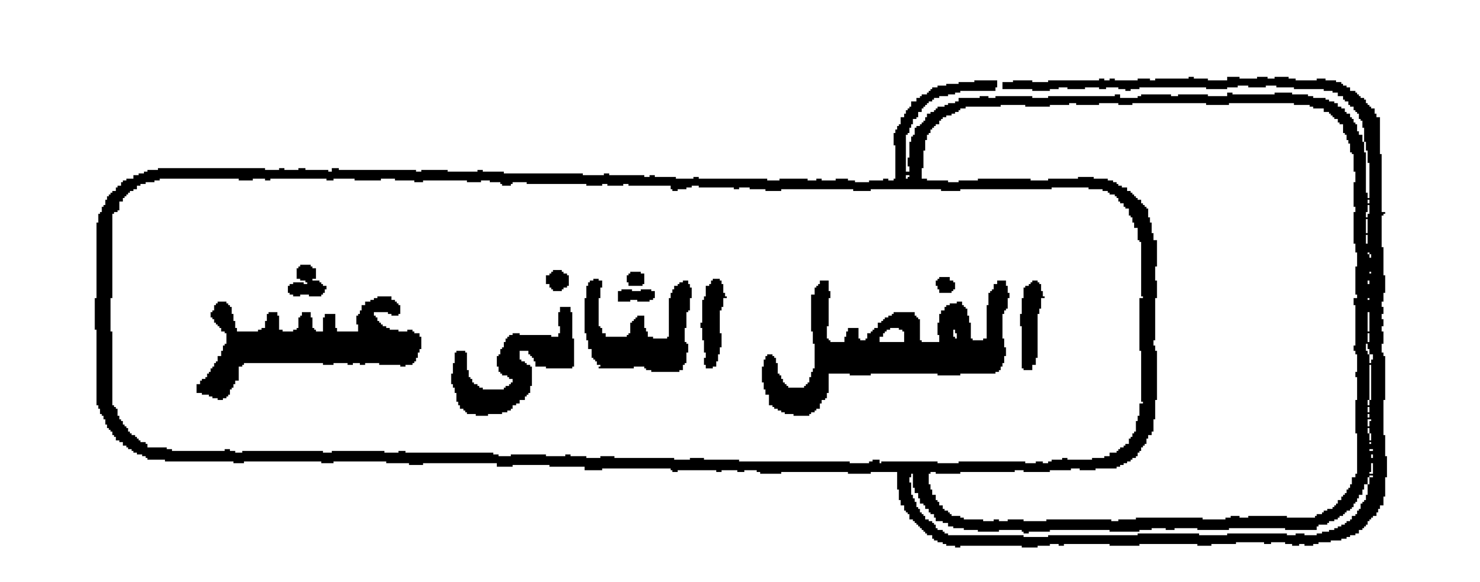
وبعد أن انتهى من إلقاء تعليماته أخذ يلقى بعض الأسئلة على الفتاة التى أجابت عليها ، كما طلب منها أن تعيد على مسامعه التعليمات التى ألقاها إليها .

وبعد أن تحقق الرجل من تمام استيعابها لتفاصيل المهمة البالغة الخطورة أشار إليها بالانصراف وهو يبتسم ابتسامته المعهودة .

غادرت "سونيا" تلك الغرفة التى انقبض فيها قلبها وهى ترتجف ولا تكاد تصدق أن حريتها عادت إليها مرة أخرى وأن " والتون" سيضمن لها سلامة حبيبها .

وعندما غادرت الغرفة انفجرت دموع التأثر من عينيها .. تلك الدموع التى ناضلت طويلاً حتى تحبسها .

***



الفصل الثاني عشر

انتهى رقم ٣٢٦ من مهمته فى البلقان وعاد مباشرة إلى لندن وهو يشعر بالاكتئاب الشديد والضيق كما ضايقه ذلك الشعور بالفشل المتكرر وأن عدوه الخفى لم يدع سبيلاً لهزيمته إلا وسلكه ونجح على طول الخط .

عاد إلى غرفته فى فندق "أوليمبيا" فحياه خادمه "فرنسيس "وقال له :

- وهناك رجل يابانى ينتظرك فى غرفة الاستقبال منذ بضع ساعات كما اتصل بك مستر "مايلز جيسون" وهو بانتظارك فى مكتبه .

قال رقم ٣٢٦ بلهجة تنم عن الضجر الشديد :

- سأذهب ولكن بعد أن أقوم باستبدال ثيابى .. ولكن هذا الرجل اليابانى ماذا يريد ؟!.

دخل إلى غرفة الاستقبال وهو يتوقع رؤية الدكتور "ماتسوموتو" ولكنه تلقى مفاجأة كبرى عندما وقع بصره على رجل يابانى فى ثياب قذرة وهيئة رثة لم يسبق له رؤيته .

نهض اليابانى من مقعده وحيا رقم ٣٢٦ بأدب ثم قال بهدوء :

- لدى أوامر بتسليمك هذه الرسالة شخصيا ، ولذلك اضطررت إلى الانتظار لعدة ساعات . فأنا آسف للإزعاج يا سيدى .

فقال رقم ٣٢٦ :

- إنى أسف لذلك أشد الأسف .. فقد أضعت وقتك .. ولكن هل أرسلك الدكتور "ماتسوموتو" بهذه الرسالة ؟.

أطرق الرجل لحظة ثم أجاب باقتضاب :

- كلا .

شعر رقم ٣٢٦ أن الرجل لا يريد الاسترسال فى الحديث فتصافحا وانصرف الرجل .. وبمجرد انصرافه فضّ رقم ٣٢٦ الرسالة فوجدها تتضمن العديد من الأوراق وقصاصات الصحف والمجلات والصور الفوتوغرافية ومعها خطاب من الدكتور "ماتسوموتو" .

ما كاد يطالع الخطاب حتى شعر بصدمة مروعة .. أصابه الدوار فتهالك على أقرب المقاعد إليه ثم قرأ ما يلى :

(صديقى .. يكتب إليك هذا الخطاب رجل اعتاد دائماً تقديم النصح للناس ورغم ذلك فقد وصم بالإهمال الجسيم لهذه المبادىء ودفع حياته نتيجة لذلك .

ولكن إياك أن تشفق علىّ .. فهذا هو الجزاء الحق لمن يخطىء مثل هذا الخطأ القاتل .. أرسلت إليك مع الخطاب العديد من الأشياء التى يمكن أن تقودك إلى أثر المرأة المنشودة .. ومن خلالها يمكنك الوصول إلى هذا الرجل الذى فعل بنا كل هذا .

فإذا تمكنت من الوصول إليه يا رقم ٣٢٦ فاقتله .. اقتله بلا رحمة ..

إنه ليس إنساناً على الإطلاق .. إنه شيطان رجيم يفسد الذمم والضمائر

بعث إليك بآخر تحياتى ..)

ماتسوموتو .

أخذ رقم ٣٢٦ يستعرض الأحداث فى ذهنه .. فبعد أن قتل "جيلوسيك" أو أرغم على الانتحار ها هو "ماتسوموتو" المهذب الأمين يضطر أيضاً للانتحار بسبب هذا الشيطان المجهول .. ورغم عظم الفارق بين" جيلوسيك" و"ماتسوموتو" إلا أن رقم ٣٢٦ قد أقسم على الانتقام لهما .. ثم تذكر كلماته فى الخطاب .. (إليك العديد من الأشياء التى يمكن أن تقودك إلى أثر المرأة المنشودة) .

– حسناً .. ترى ما هى هذه الأشياء ؟!.

وجد قصاصات من صحف قديمة أدرك أنها روسية .. ومن العناوين تبين أن الأمر يتعلق بإحدى القضايا القديمة .

أما الصور الفوتوغرافية فقد كانت لعدة أشخاص من بينهم صورة "لسونيا" .. ما أن رآها حتى خفق قلبه بعنف .

قضى حوالى ساعة يطالع تفاصيل هذه القضية ويستوعب ما فى هذه الأوراق والقصاصات العديدة وتكاد التفاصيل تنطبع فى ذهنه .

وبعد أن انتهى شعر كأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن صدره .. لقد عرف كل ما يود معرفته عن "سونيا" ، تلك الفتاة التى خدعته .. وقد التمس لها بعض العذر لعملها كجاسوسة .. فإنها كانت مضطرة لذلك حتى تتمكن من

الانتقام والثأر لأبيها وأخيها .

شعر بالامتنان للدكتور "ماتسوموتو" الراحل الذى أمده بكل هذه التفاصيل الهامة عن "سونيا" وأسرتها وقضيتها المأساوية .

أما أهم مافعله الرجل هو أنه أمده بصورة للرجل الذى فعل كل ذلك بعائلة "سونيا" .. ذلك الرجل الذى تبحث "سونيا" عنه منذ سنوات دون جدوى ، ومن أجله مارست أعمال الجاسوسية .

وفيما هو مستغرق فى التفكير فى أمر "سونيا" التى حيرته طويلاً فتح باب الغرفة بهدوء ودخل الخادم فقال رقم ٣٢٦ بلهجة يشوبها الضيق :

– ماذا لديك ؟.

قال الخادم بلهجته المهذبة :

– مستر "جيسون" على التليفون .

على الفور نهض رقم ٣٢٦ لمحادثة رئيسه تلك المحادثة التى لم تستغرق ثوان معدودة .

***

بعد حوالى ساعة كان رقم ٣٢٦ فى طريقه إلى رئيسه مستر "مايلز جيسون" .. لم يكن اللقاء كالمعتاد فى مبنى المخابرات السرية .. بل كان فى آخر مكان يخطر بباله .

كان رئيسه ينتظره فى غرفة بأحد المسارح زينت جدرانها بالعديد من الصور لرجل واحد فى مختلف الأوضاع .. كانت غرفة المهرج الشهير "نيمو

نعم كانت غرفة المهرج العالمي "نيمو" الذى كان المسرح يمتلىء كل ليلة بالرواد من أجل الاستمتاع بفكاهاته وألاعيبه المضحكة .. فهو فنان قدير يملك موهبة فذة على انتزاع الضحكات من الجمهور .

كان "مايلز جيسون" جالساً على أحد المقاعد وهو متجهم الوجه ، أشار إلى رقم ٣٢٦ أن يجلس على المقعد المقابل ثم قال :

- أرجو أن تصغى إلى بانتباه .. فإننى فى حالة لا تسمح لى بإعادة الحديث مرة أخرى .. إننى أكاد انفجر غيظاً مما يحدث حولنا .

لاشك أنك قد علمت أن المعاهدة التى تم توقيعها بين بريطانيا واليابان ، قد سرقت ، وأن الدكتور "ماتسوموتو" قد انتحر .

هز رقم ٣٢٦ رأسه بالإيجاب .. وهنا دخل إلى الحجرة المهرج الشهير" نيمو" .. فقال جيسون :

- أقدم لك رقم ٣٢٦ ! مستر" نيمو" .. أقدم لك "نيمو" يا رقم ٣٢٦ .. و"نيمو" هو أحد رجالنا ويعرف فى سجلات المخابرات برقم ٧١٩ ، وقد كلفته بمهمة البحث عمن تسلم أوراق النقد التى حصل عليها "جيلوسيك" مالك تحملق فى وجهى هكذا .

ثم تحول إلى "نيمو" وقال :

- قل له ما عندك يا رقم ٧١٩ .

كان "نيمو "يجلس على المقعد المقابل لرقم ٣٢٦ .. فأخذ يتأمل ملامحه ولكنه لم يستطع أن يتبين منها شيئاً حيث كان الماكياج يخفيها تماماً.. كل ما تمكن من رؤيته هو عيناه الضاحكتان ، وشعرنحوه بالارتياح .

كما شعر بالتقدير والإعجاب للرجل الذى يخدم وطنه رغم مشاغله الجمة ويقبل القيام بأعمال جهاز المخابرات رغم مشقتها البالغة .

قال "نيمو" مخاطباً رقم ٣٢٦ :

– لقد كان الحظ فى صفى خلال بحثى فى قضية أوراق النقد التى ذكرها الرئيس .. ولست أدرى هل تفيدك معلوماتى القليلة أم لا .. ولكن من المؤكد أنه يمكنك الاستفادة منها على أى وجه من الوجوه خلال مهمتك الشاقة .

لقد علمت أن بنك انجلترا دفع هذه النقود إلى بنك خاص يهتم بنشر الدعاية الروسية فى الغرب .

ماكاد رقم ٣٢٦ يسمع أن الذى تسلم النقود هو بنك يهتم بأمور روسيا حتى تذكر "سونيا" فهى أيضاً من أصل روسى .

استطرد "نيمو" قائلاً :

– ومن المعلومات التى قد تفيدك أن جاسوساً روسياً سوف يسافر إلى موسكو بواسطة قطار الشرق وسوف يحمل معه المعاهدة البريطانية اليابانية .. وللأسف الشديد فإننى مقيد بالعمل هنا فى المسرح ولن استطيع مطاردة هذا الجاسوس .

ولذلك اقترح عليك أن تتولى بنفسك هذه المهمة إذا لم تكن مرتبطاً بعمل آخر .

فقاطعه رقم ٣٢٦ قائلاً .

– كلا .. إننى لست مرتبطاً بعمل آخر ، ويمكننى أن أسافر فى أى وقت

– إذن يجب عليك أن تسرع خلف هذا الجاسوس لكى تمنعه من الهروب بالمعاهدة .

قال "مايلزجيسون" :

– ولكن .. يجب أن تكون فى غاية الحذر .

فقال المهرج وهو يبتسم :

– نعم لابد أن تكون شديد الحذر فى هذه المهمة .. وحتى أوفر وقتك ومجهودك فقد حجزت لك تذكرة فى قطار الشرق بجوار الجاسوس الروسى نفسه .

ثم قدم إليه التذكرة فكانت تحمل البيانات التالية :

رقم ٣٢١٣٢ غرفة رقم ٨ .

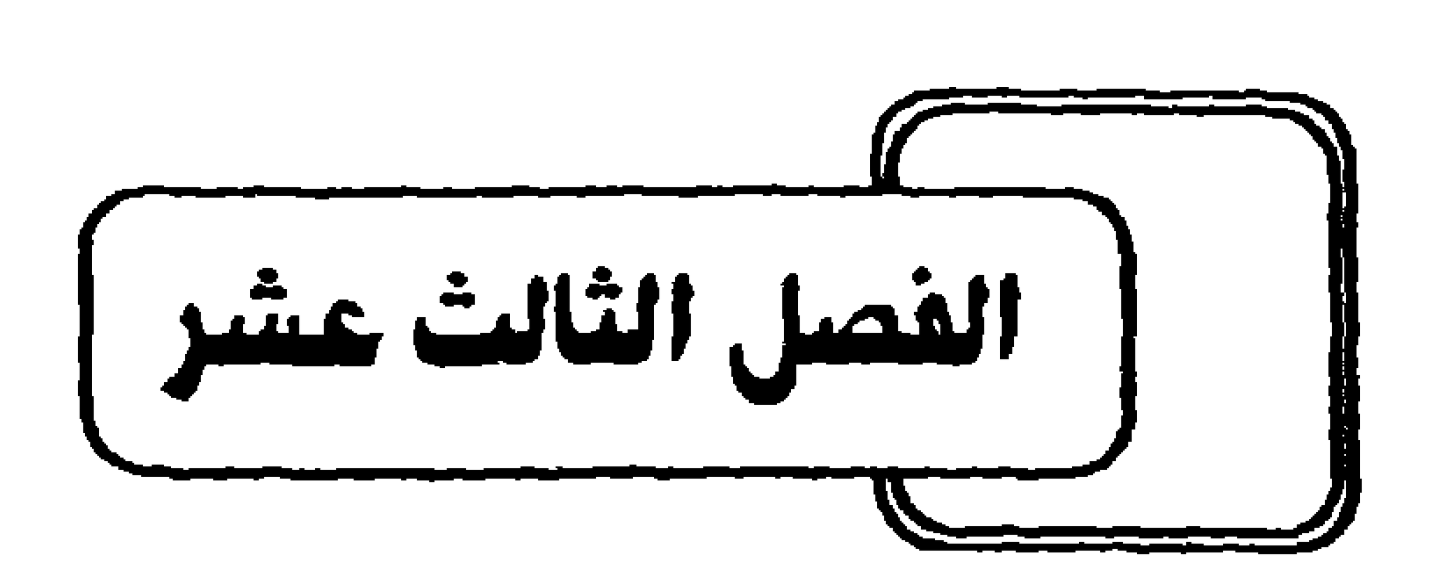
واستطرد قائلاً :

– أتمنى لك كل توفيق فى هذه المهمة الصعبة وعليك أن تحاول استغلالها بأفضل صورة ممكنة لعلك تصل إلى هذا الشيطان الذى يهددنا منذ وقت طويل دون أن نعرف عنه شيئاً ولدى شعور قوى أنه هو الذى دبر سرقة وثيقة المعاهدة .

لا تنس سوف يغادر القطار المحطة فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الرابعة عشرة أتمنى لك كل توفيق فى رحلتك .

ثم صافحه وانصرف .

***



كانت "سونيا" فى غاية الشوق واللهفة وهى تختلس هذه الدقائق لتذهب إلى فندق "أوليمبيا" لمقابلة رقم ٣٢٦ .. كانت تود أن تراه ولو لثوان معدودة ولكنها أصيبت بخيبة أمل كبيرة عندما سألت الخادم عن الرجل الذى يستأجر الغرفتين رقم ١١٩ و ١٢٠ ، فأجابها أنه حضر عند الظهيرة لمدة قصيرة جداً ثم انصرف ولم يترك عنواناً .

كانت مترددة وهى تنصرف .. راحت تنظر حولها علها تراه قادماً .. فى هذه اللحظات .

كانت قد تسللت إلى الفندق سراً رغم أن التعليمات التى أملاها عليها "والتون" تقضى بأن تكون فى القطار الذاهب إلى باريس .. ولكنها لم تستطع مقاومة رغبتها الملحة لرؤية الرجل الذى أحبته ..

ترى هل سافر ؟ وإلى أين ؟ .

لم يكن أمامها فرصة للانتظار دقيقة واحدة أخرى فقررت الانصراف حتى تلحق بالقطار المتجه إلى باريس وكان موعد قيامه العاشرة وست

أوشكت دموعها أن تغلبها ولكنها تمالكت نفسها .. فهى تعلم أن من يمارس مهنة الجاسوسية لا يجب أن يفعل أى شيء يمكن أن يلفت إليه الأنظار مهما حدث .. تباً لهذه المهنة اللعينة ولكنها ستكون المرة الأخيرة.

كانت العربة التى بها مقعدها خالية مما جعلها تشعر بالراحة حيث يمكنها أن تستمتع بالراحة والعزلة طوال الرحلة .

خلعت قبعتها ومعطفها وتهيأت للجلوس ثم نهضت لإغلاق النافذة .

كان يقف أمامها مباشرة قطار آخر يتهيأ لمغادرة المحطة .. وفى ذات اللحظة رأت رجلاً يدخل إلى العربة المقابلة ويخلع قبعة ومعطفه .. وما كاد يفعل ذلك حتى شهقت كان هو رقم ٣٢٦ !!.

تملكها شعور بالدهشة البالغة والسرور .. ولكن هذا الشعور تبدل فوراً إلى الخوف الشديد .. فإذا مارآها قد يقع مالا يحمد عقباه ويكون "والتون" فى حل من وعده بالمحافظة على حياة حبيبها .

تراجعت إلى الوراء حتى لا يراها .. فيجب أن تنتهى من مهمتها أولاً حتى يكون من حقها أن تلتقى به دون خوف كما وعدها "والتون" ..

ثم سمعت صوتاً بجوارها فأدركت أنه قد أغلق نافذته .. فمالت قليلاً إلى الأمام لعلها تلمح وجهه الحبيب للمرة الأخيرة قبل رحيلها .. ولكن القطار بدأ يتحرك وضاعت الفرصة عليها .

وفيما هى كذلك وقع بصرها على الرقم النحاسى اللامع والمثبت فوق جدران عربات القطار المتجه إلى جهة لا تعلمها حتى الآن ..

كان الرقم هو ٢٣١٣٣ .

كادت تصرخ فزعاً .. لقد قرأت هذا الرقم في الورقة التى كانت فوق مكتب" والتون" إن ذلك يعنى أن الرجل يراقبه ويعلم وجهته .

تملكها الخوف على رقم ٣٢٦ .. شعرت بقلق شديد وراحت تفكر بسرعة .

لابد أن "والتون" قد دبر خطة ما للايقاع بالرجل الذى تحبه .. ولكن ألا توجد فرصة لتحذير رقم ٣٢٦ ؟! ما العمل الآن .

ثم شعرت بالقطار الذى تستقله يتحرك .

***

أما رقم ٣٢٦ فقد استلقى على فراشه بعربة النوم فى الغرفة رقم ٨ .. وأخذ يشغل نفسه بإعادة قراءة الأوراق والقصاصات التى أرسلها إليه "ماتسوموتو" لعله يتوصل إلى المزيد من المعلومات .. كانت المواجهة المقبلة تبعث فى صدره الحرارة وتشحذ قواه للنضال .

شعر خلال قراءة الأوراق بالاشفاق على" سونيا" لما تعرضت له من ظروف شديدة القسوة وفى نفس الوقت كان حانقاً عليها .

ولكنه بعد قليل بدأ يشعر بالتعاطف معها .. فقد كان سيسلك نفس الطرق إذا وضعته الظروف موضعها ومن بين الصور المنشورة للمحاكمة رأى صورة أبيها وأخيها وهما فى قفص الاتهام . كان يبدو عليهما الشجاعة والنبل وقوة العزيمة .. فمن حقها أن تحزن عليهما وتنتقم من قاتلهما .

أما القاتل فكانت له صورة بين الصور .. كان فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره يتميز بلحيته القصيرة وشاربه الرفيع وعينيه البراقتين ووجهه المعبر عن القسوة والدهاء .

خطر بباله خاطر .. إن هذا الوجه مر به .. انه واثق من رؤيته فى مكان ما .. ولكن أين ومتى ؟! ..

لابد أنه رآه ولكن صاحبه كان متقدماً فى السن !!.

ولكن هل رأيت "سونيا" هذه الصور ؟ يا لها من فتاة مسكينة .

وتنبه فجأة على خاطر جديد فماله يعطف على الفتاة التى عليه أن يطاردها حتى يصل إلى زعيم العصابة التى تعمل بها .. فكيف ينسى أن أحد شركائها وهو الرجل الروسى ينزل فى الغرفة المجاورة له .. لقد شاهده منذ قليل ولكن ملامحه لا تدل أبداً على أنه روسى ..إنه يبدو كما لو كان من أصل لاتينى .. كما تدل ملامحه على أنه رجل مرح .. ولكنه يحمل تلك الوثيقة الخطيرة .. ترى أين خبأها ؟! .

يجب أن يحصر تفكيره الآن فى هذا الرجل وفى كيفية استعادة الوثيقة منه فى أسرع وقت ممكن ودون أن يلفت إليه الأنظار .

ولكن ما هذا ؟ لماذا تباطأت سرعة القطار هكذا ؟! يا إلهى ان القطار يكاد يتوقف .. نعم إنه توقف بالفعل !!.

ولكن كيف يتوقف هنا رغم عدم وجود محطة ؟!.

لابد أن فى الأمر مشكلة ما .

إن الظلام دامس ولا يوجد صوت إلا صوت البخار الذى يتصاعد من

القاطرة ما أعجب هذا ؟! ..

هب رقم ٣٢٦ من فراشه ثم ألقى معطفه على كتفيه وفتح النافذة .. ولكنه لم ير شيئا .. كان الظلام كثيفاً من حوله .. أصاخ السمع ولكنه لم يسمع أى حركة .. شعر أن الجو دافىء ولكنه خانق .

من المؤكد أنه الآن فى أحد الأنفاق التى يوجد عدد منها على هذا الطريق .. نعم ان هذا هو جو الأنفاق .. ولابد أن القطار تعطل فى إحداها ..

دق الجرس لاستدعاء ملاحظ القطار ولكن أحداً لم يحضر .. لم يكن هناك سوى الصمت المطبق والظلام الدامس .

غادر غرفته إلى الممر الخارجي ونظر إلى الغرفة المجاورة التى نزل فيها الجاسوس الروسى فوجد بابها مفتوحاً .نظر خلاله ولكنه لم ير الرجل بالداخل كما رأى حافظة أوراقه فوق الفراش .. نظر حوله فلم ير أحداً فوثب إليها وتناولها ثم فتحها بسرعة واستولى على محتوياتها ثم تركها فوق الفراش .. وعاد بسرعة إلى غرفته .

أضاء النور وعندها لم يتمالك نفسه من الضحك !!.

كانت ضحكة تحمل كل معانى خيبة الأمل والمرارة .. لقد خدعه الجاسوس وسخر منه وترك له قصاصات من ورق الصحف ولا شىء غير ذلك !!

ألقاها فى غضب ثم غادر الغرفة إلى غرفة الملاحظ ولكنه لم يجد بداخلها أحداً .. ولكنه لاحظ شيئاً عجيباً .. كانت مؤخرة العربة تبدو كما لو

كانت تطل على الفضاء !!.

أسرع إلى مقدمة العربة فرأى الوصلة الحديدية القوية التى تربط بين العربة وغيرها من العربات مدلاة .. وأن العربة منفصلة تماماً عن غيرها.

وأدرك الحقيقة المفزعة .. إن عربته منفصلة تماماً عن القطار وهى تقف الآن فى قلب النفق .

عاد بسرعة إلى مؤخرة العربة ولكنه بدأ يسمع صوتاً مدوياً يأتى على البعد ثم يزداد اقتراباً كل لحظة .. ترى ما هذا الصوت ؟!.

ازداد الصوت اقتراباً حتى كاد يصم أذنى رقم ٣٢٦ .. إنه أصبح كالرعد القاصف .. ولكن ما هذا ؟.

نظر رقم ٣٢٦ إلى الأمام فوجد مصباحاً قوياً يشق منحنيات النفق وبعد لحظات رأى مصباحاً آخر وعند ذلك أدرك الحقيقة الرهيبة .

كان هناك قطار قادم على نفس الخط الذى تركت فوقه العربة التى يستقلها رقم ٣٢٦ .. نعم كان هو القطار القادم من باريس .

ياله من تدبير شيطانى .

شعر رقم ٣٢٦بأن الأرض تتزلزل فى النفق بينما كان القطار يقترب بسرعة مخيفة .. ماذا يفعل .. إنها مجرد لحظات ويرتطم القطار بعربته ويحيلها إلى أشلاء متفرقة .. فلا توجد هناك قوة على الأرض يمكنها أن تمنع هذا الوحش القادم من قلب النفق لإزهاق روحه .

أخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة تحذير لسائق القطار لعله ينتبه فى

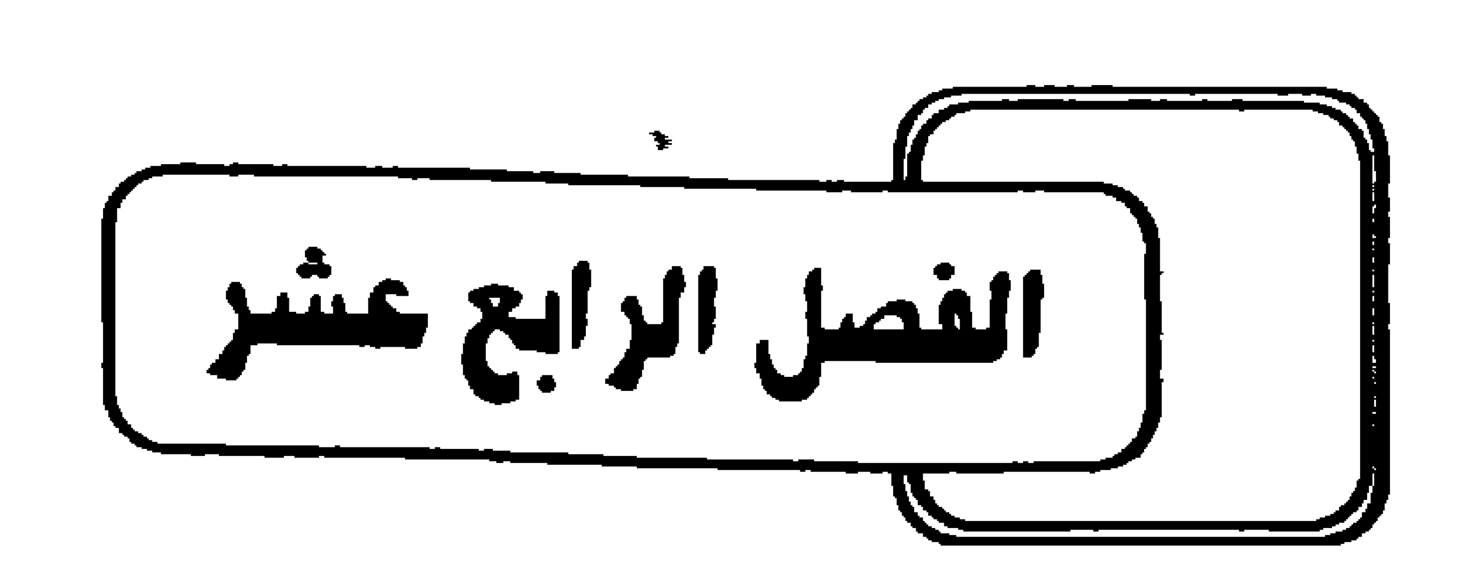
اللحظة الأخيرة .. ولكن هيهات أن يسمع السائق صوتاً وسط هذا الدوى الرهيب الذى يتردد بين جنبات النفق ..

انقض القطار على المركبة فأحالها إلى ملايين القطع المتناثرة من الأخشاب والحديد والزجاج .

وعلى الفور ارتفعت بالقطار أصوات الاستغاثة وصرخات الألم .. فتوقف القطار فى النفق وسط حطام المركبة المنكوبة .

ثم انطفأت الأنوار واندلعت ألسنة النيران فى قلب النفق فى مشهد مروع من الخراب والدمار .

***



الفصل الرابع عشر

أخيراً وصل قطار "سونيا" إلى الحدود فاستيقظت فجأة من نومها .. وكان عليها أن تتعرض للتفتيش الدقيق مثل غيرها من المسافرين .

جاء أحدهم إليها وتناول منها جواز السفر فأخذ يفحصه بدقة ثم طلب منها التوجه إلى حيث يتم تفتيشها ذاتياً، فابتسمت له بثقة مما يعنى أنها على استعداد ثم تركت معه جواز السفر حتى تعود .

اتجهت إلى السيدة التى تقوم بالتفتيش بخطوات ثابتة واثقة ، ولم يكن هذا السلوك غريباً عليها فقد مرت بهذه المواقف كثيراً من قبل ..

كما سبق لها أن هربت عشرات الوثائق الهامة من قبل ولكن بأسلوب مختلف .. كانت تكتب ما تحتويه الوثائق على جسدها بنوع خاص من المواد لا يظهر إلا بوضع مواد معينة فوقه..

ولكنها هذه المرة كانت تحمل صورة الوثيقة ذاتها .. ورغم ذلك فقد كانت واثقة من نجاحها حيث وضعت الصورة بطريقة خفية داخل جواز السفر الذى تركته بين يدى موظف الجمارك .

وبعد أن انتهت عملية التفتيش الدقيقة ولم تسفر عن وجود شيء بالطبع عادت "سونيا" إلى الموظف فتسلمت جواز سفرها وابتسمت له شاكرة ثم اتجهت صوب القطار لاستئناف رحلتها إلى باريس .

وبينما هي تضع جواز السفر داخل حقيبتها فتح أحد المكاتب واندفع منه رجل فاصطدم بها بقوة حتى كادت تقع على الأرض من قوة الصدمة .. ورغم ذلك فإن الرجل واصل اندفاعه ولم يفكر في تقديم الإعتذار لها .

وبعد قليل عاد الموظف وبصحبته اثنان من زملائه وهما يركضان سريعاً إلى المكتب وسمعت أحدهما يقول بانفعال :

– من المؤكد أن العربة قد انفصلت من القطار رقم ٢٣١٢٣ .. إنها كارثة مروعة !!

ما كادت "سونيا" تسمع ذلك حتى تذكرت على الفور قطار رقم ٣٢٦ .. إنه نفس القطار أما العربة التي انفصلت عنه فلابد أنها العربة الأخيرة .. وقد كان يركب فيها بالفعل .. نعم إنها العربة رقم ٨

كادت تجن من هذه الصدمة المروعة التي لم تتوقعها ..

ما إن هب الموظف مرة أخرى حتى أمسكت به وراحت تلقي عليه العديد من الأسئلة من هذه الكارثة والرجل يحاول التخلص منها دون جدوى .. حتى عرفت ما تود أن تعرف ثم تركته .

لقد انفصلت العربة رقم ٨ عن القطار رقم ٢٣١٢٣ ، في قلب النفق ليحطمها القطار القادم من باريس تماماً .. ولم يعرف عدد الضحايا ولكن سوف يتم إرسال قاطرة للنجدة من هذه المحطة أدركت "سونيا" الحقيقة

الأليمة بعد فوات الأوان .

كان "والتون" يعرف خط سير رقم ٣٢٦ ، فدبر له حادث القاطرة ببراعة حتى يقضى عليه ويبدو الحادث قضاءً وقدراً .

ياإلهى .. إن رقم ٣٢٦ يرقد الآن تحت انقاض العربة المنكوبة .. ربما كان فى لحظاته الأخيرة وليس بجواره من يخفف عنه .

في هذه اللحظة نسيت "سونيا" كل ما يتعلق بمهمتها إلى باريس بل ونسيت تهديدات "والتون "ولم تعد تتذكر سوى واجبها نحو الرجل الذى تحب .

اتجهت نحو قاطرة الإسعاف التى كانت تقل عدداً كبيراً من العمال والأطباء ورجال الإسعاف ولم يحاول أحدهم أن يوقفها أو يسألها عن وجهتها .. فالكل مشغول بهذه الكارثة ..

جلست فى أحد الأركان وهى تشعر بالقلق الشديد وبأن القاطرة تسير ببطء .. وأخيراً وصلت القاطرة إلى أول النفق فهبط منها الجميع وكانت "سونيا" هى أول من قفز منها وراحت تركض داخل النفق وهى تتعثر فى الحطام المنتشر حولها ولكنها تنهض على الفور .. كادت سحابات الدخان الخانقة تعمى أبصارها وتخنق أنفاسها ولكنها لم تبال . وظلت تبحث على ضوء المصابيح التى حملها رجال الإنقاذ .. كان هناك عشرات الجرحى والمصابين يرقدون وسط أكوام الأخشاب والحديد وهم يطلقون صيحات الاستغاثة .

جمد الدم فى عروقها عندما رأت اثنين من القتلى يحملهما رجال الإنقاذ

فتقدمت منهما ولكنها لم تجد رقم ٣٢٦ بينهما فتنفست الصعداء .

ظلت تتقدم بداخل النفق فرأت أحد الأطباء يعالج جريحاً وهو فى النزع الأخير فاقتربت منه ولكنه لم يكن حبيبها ، فواصلت السير داخل النفق وشاهدت المزيد من المناظر المأساوية التى يشيب من هولها الولدان .

ولكن أين هو رقم ٣٢٦ ؟ !.

رأت يداً زرقاء تمتد من تحت الأنقاض وقد جمدت حركتها بفعل البرد الشديد وراح صاحبها يصيح مستنجداً بصوت خافت .. تقدمت منه" سونيا" وحاولت أن تجذبه من يده التى تجمدت فوقها قطرات من الدم .. إنها تبدو كيد رقم ٣٢٦ .

وفيما هى تقوم بتلك المحاولة رأت وجهاً بشعاً يطل عليها فى الظلام وعينين خبيثتين ترمقانها .

كان كل ما يشغلها حتى هذه اللحظة هو إنقاذ حبيبها .. أما الآن فقد تذكرت الظروف المعقدة التى فرضت عليها .. نظرت إلى هذا الوجه الذى أثار فى قلبها مشاعر الحقد والمقت وعرفت صاحبه فصاحت :

– من .." موريه" ؟ هل أرسلك "والتون" أيها الكلب الحقير حتى تتحقق من موت الرجل فى هذه الجريمة البشعة التى راح ضحيتها الآلاف .. أيها الكلب .. لن أدعك تفلت أبداً .. النجدة .. النجدة .. سوف أفضحك وأفضح جرائمك أنت و "والتون" .. نعم لقد دبرتم هذه الجريمة المروعة وأنت الذى فصلت عربة القطار حتى تقتل هذا الرجل .

وتملكها الغضب فهمت بالقبض على عنقه ولكنه كان أسرع وأقوى منها

فوضع يده فوق فمها ليمنعها من الصياح وهويقول :

– الزمى الصمت تماماً وإلا أزهقت روحك .

ولكنها عضت يده .. ثم أخذت تصرخ فى طلب النجدة فاضطر "موريبه" لضربها بعنف بقبضة مسدسه فوق رأسها فأغمى عليها ثم شد وثاقها وكممها ثم حملها ليلقيها فى إحدى مركبات البضاعة .

وما كاد يترك الفتاة على أرضية عربة البضاعة حتى شعر بمن يثب فوقه ويسدد إليه ضربة مروعة جعلت المسدس يسقط من يده .. وقبل أن يسترد وعيه وينتبه لما جرى رأى أمامه رقم ٣٢٦ وهو يصوب إليه مسدسه الذى سقط منذ لحظات ..

كاد الرجل يجن .. انه حقاً رقم ٣٢٦ ولا سبيل إلى مقاومته .. فلم يجد بداً من الفرار فأطلق ساقيه للريح واختفى وسط الظلام الدامس .

***

أفاقت " سونيا" بسرعة فرأت "موريبه" يفر هارباً ، أما رقم ٣٢٦ فقد عاد إليها بسرعة ورفع الكمامة عن فمها وفك قيودها فبادرته بقولها :

– حمداً لله . إنك بخير ولم تصب بأية أضرار .

أما هو فقد تحسس وجهها ويديها وقال :

– هل أصابك شىء من اعتداء هذا الحيوان ؟ .

– كلا .. وأنت .. لقد خشيت عليك أن تكون قد أصبت إصابة شديدة من جراء الحادث .

– الحمد لله .. لم أصب إلا بإغماء بسيط وببعض الخدوش فقط .. ولكنني استعدت وعيي في الوقت المناسب وسمعت الحوار الذي دار بينك وبين هذا الشقي .

سار معها وهو يستند إلى كتفها .. كان يشعر بضعف شديد في كل جسده .. قال لها :

– من هو "والتون" الذي سمعتك ترددين اسمه ؟.

نظرت إليه "سونيا" قليلاً ولم تنطق بحرف .. فقال لها :

– أرجو أن تتكلمي .. إن معي صورة فوتوغرافية يهمك أمرها إلى أقصى حد .. وربما كان صاحبها هو "والتون" أو أحد أقربائه المقربين .. وإنني أشك في معرفة صاحب هذه الصورة .. إنها صورة قديمة جداً .. منذ حوالي ثلاثين عاماً وكان صاحبها يتنكر بلحية صغيرة .

فهل تستطعين معرفة صاحبها بعد هذه السنوات ؟!.

قالت "سونيا" :

– بالتأكيد يمكنني معرفته .

فأخرج من جيبه الصورة ووضعها أمام ناظريها وقال لها :

– هل تعرفين صاحب هذه الصورة .

أمعنت "سونيا" النظر في الصورة طويلاً وبدا على وجهها انفعال غريب فقال لها رقم ٣٢٦ بلهجة يخالطها العطف :

– هل عرفت صاحب الصورة ؟.

هتفت "سونيا" من أعماقها :

– نعم .. إن هذا هو "والتون" .. نعم إنه "والتون" .. ولكن من صاحب هذه الصورة ؟! .

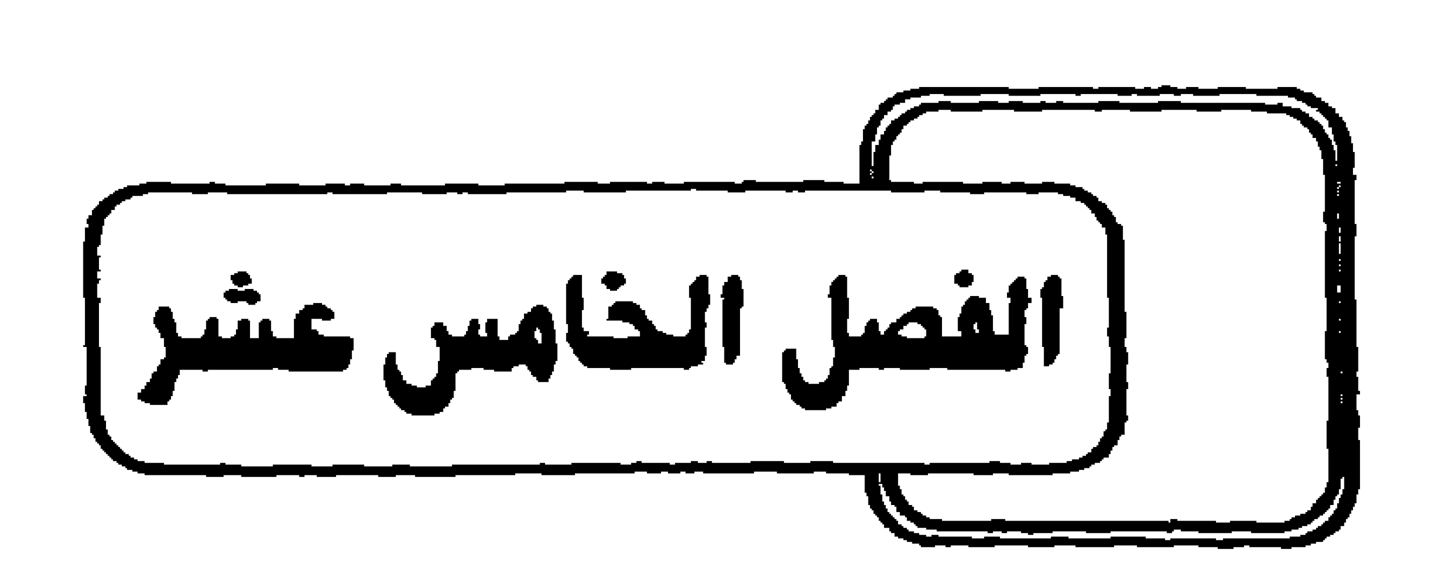
قال رقم ٣٢٦ :

– إنك فتاة مسكينة "يا سونيا" .. لقد تعرضت لأحط عملية ابتزاز واستغلال يمكن أن تتعرض لها فتاة مثلك .. هل تعرفين من هذا الرجل؟.

إنه "ديمترى ميخايلوفتش" أو "جلبسكى" .. الرجل الذى كان السبب فى إعدام والدك وشقيقك والتنكيل بأسرتك .

لقد عرفت كل هذه الحقائق المروعة بفضل رسالة الدكتور "ماتسوموتو" الراحل .

***



الفصل الخامس عشر

كانت الصدمة التى تعرضت لها "سونيا" تجل عن الوصف .. هل كان "والتون" هو نفسه "ديمترى ميخايلوفتش" رئيس الأوكرانا والذى قضت سنوات عمرها تبحث عنه ؟! .

وما كادت تهدأ قليلاً حتى وجدت أنها أصبحت فى حل من كل وعودها "لوالتون" الخائن القاتل فصارحت رقم ٣٢٦ بكل ما تعرفه من أسرار هذا الشيطان .. على الفور اتصل الرجل برئيسه "مايلزجيسون" .

***

لم يمض وقت طويل حتى كانت السيارة التى تقل رقم ٣٢٦ "ومايلزجيسون" تنطلق بأقصى سرعة إلى مقر بنك "والتون" فى لندن .

أخذ رقم ٣٢٦ يروى لرئيسه كل التفاصيل والأحداث التى مرت به والتى اكتشفها من أوراق "ماتسوموتو" ومن معلومات "سونيا" .. وبعد أن انتهى قال له :

– وقد أرشدت السلطات الفرنسية إلى "موربيه" والذى تعتقد" سونيا" أنه

هو الذى نفذ حادث التصادم المروع فى النفق ، وقد تمكنوا من إلقاء القبض عليه بعد قليل وكان يتصل "بوالتون" ليخبره بنجاتى وبخيانة "سونيا"..

فصاح "مايلزجيسون" :

- ولماذا تخبرنى بذلك؟ .. لابد أن ترسل إلينا السلطات الفرنسية بهذا الرجل حتى نستجويه ونعرف أسرار "والتون" وعصابته .

ولكن رقم ٣٢٦ قال :

- للأسف لن يمكننا أن نفعل ذلك . فقد أطلق الرجل رصاصة على نفسه بمجرد شعوره بأن البوليس يحاصره فمات على الفور .. ورغم أنه كان مجرماً حقيراً إلا أنه ظل مخلصاً لرئيسه حتى النهاية .

وأعتقد أنه لم يكن يعرف الكثير من أسرار "والتون" التى عرفنا منها الكثيرعن طريق "سونيا" التى جن جنونها بعد أن أدركت كيف خدعها الرجل طوال هذه السنوات وظل يمنيها بالعثور على قاتل أبيها وأخيها وهو نفسه القاتل !!.

وقد أمدتنى بالكثير من المعلومات الخطيرة ، والأهم من ذلك أنها قدمت إلىّ صورة وثيقة المعاهدة التى نبحث عنها وكانت قد نجحت فى الإفلات بها من التفتيش ، بالفعل ولكنها لم تجد فائدة من إتمام هذه المهمة من أجل هذا الرجل الخائن القاتل .

- وأين "سونيا" الآن ؟.

- لقد تركتها فى حراسة "فرنسيس" خادمى ولن يتمكن "والتون" وأعوانه

الأشرار من الوصول إليها ..

نظر "مايلز جيسون" إلى رقم ٣٢٦ وهو يهم بالكلام .. فأدرك الأخير غرضه وقال :

– كلا .. لا تخش أن تتصل "بوالتون" مرة أخرى .. إننى على ثقة من أنها إذا رأته فسوف تقتله بيديها .

– اذن فلابد أننا سوف نجد الوثيقة الأصلية فى خزائن بنك "والتون" .

***

بمجرد مغادرتهما للسيارة تحققا من تنفيذ أوامرهما بدقة وأن رجال الشرطة يحاصرون البنك من كل النواحى ثم دخلا إلى مكتب وكيل البنك الذى كان رجلاً قصيراً أصلع له عينان براقتان ضيقتان ، فما أن رآهما حتى نهض واقفاً وقال :

– هل من خدمة أؤديها ؟.

قال "مايلز جيسون" بلهجة حازمة :

– إننا نريد مقابلة مستر "والتون " شخصياً ..

– للأسف إنه غير موجود فى الوقت الحاضر .

– عليك أن تتصل به وتطلب إليه الحضور فوراً .

فصاح الرجل بغضب :

– ولكن مستر "والتون" لا يتلقى أوامره منك أو منى ، هذا بالإضافة إلى أننى لا أعرف مكانه .

زمجر "جيسون" قائلاً :

- من المؤكد أنك تعرف مكانه ولكنك تنكر .. هل أنت الذى تنوب عنه فى إدارة البنك ؟.

- نعم .

- إننى آمرك أن تسلمنا جميع مفاتيح الخزائن والخزائن الخاصة والأوراق والدفاتر ..

فنظر إليه الرجل بدهشة وبدا لو أنه على وشك الانفجار فى الضحك ولكن "جيسون" صاح غاضباً :

- إذا لم تفعل ما أطلبه منك فى الحال سأجعلك تنسى الضحك بقية حياتك .. هل تريد أن تنفذ ما طلبت أم لا ؟.

- كلا .

ثم مد يده إلى جهاز التليفون فقال "جيسون" :

- لا تتعب نفسك فقد قطعت كل الأسلاك التليفونية .

- يبدو أنك تلجأ لوسائل الإرهاب .

- أعرفك أن البنك محاصر .. فمن واجبنا تعقب المجرمين والتوصل إلى أدلة الجريمة .

ثم نظر إلى رقم ٣٢٦ نظرة خاصة وعلى الفور أشار الأخير بيده من إحدى النوافذ ..

وبعد لحظات كان عشرات من رجال الشرطة يقتحمون البنك .

ولكن "جيسون" ورقم ٣٢٦ عندما اقتحما غرفة "والتون" لم يجداه بالداخل .

فأمر "جيسون" بأن تحمل السيارات جميع ما تم العثور عليه في بنك "والتون" من الأوراق والوثائق .

***

استولى الغيظ على الرجلين .. فقد أفلت "والتون" منهما كما كانت كل الأوراق والمستندات المضبوطة لا تساوى الكثير والأهم أن المعاهدة مازالت فى مكان سرى .. قال "مايلز جيسون" :

– مارأيك فى نشر صورة "والتون" القديمة عندما كان رئيساً للأوكرانا، ورصد مكافأة ضخمة لمن يعثر عليه ؟! .

هز رقم ٣٢٦ كتفيه وقال :

– لا أعتقد أن هذه الخطة يمكن أن تنجح مع رجل مثل "والتون" .

– يجب ألا تنسى أنه مصاب بالشلل ولن يمكنه الاختفاء طويلاً .

– حتى هذا المرض أصبحت أشك فى أصابته به .. فكيف يمكن لإنسان أن يسيطر على كل هؤلاء الأشقياء ويدبر المؤامرات بهذا المستوى من الكفاءة وهو مقعد ؟!.

– وما رأيك ؟.

وقبل أن يبدى رقم ٣٢٦ رأياً دخل أحد الموظفين إلى المكتب وهو بادى القلق والتردد .. فما أن رآه "جيسون" حتى صاح به :

- لماذا جئت .. ألم أقل .

قاطعة الموظف قائلاً :

- أعلم ياسيدى انك لا تريد أن يزعجك أحد .. ولكن هناك ملاحظة هامة للغاية .. كانت أرقام الأوراق النقدية والتى طلب إلينا رقم ٣٢٦ أن نبحث عن مصدرها لمعرفة من الذى أعطاها "لجيلوسيك" غير الأرقام التى تم البحث عنها فعلاً .

استولت الدهشة على "مايلزجيسون" فسأل الرجل :

- ومن الذى تسلم البرقية التى أرسلها رقم ٣٢٦ من البلقان ؟.

- لقد تسلمها رقم ٧١٩ .

- ولكن هل يمكن أن تكون لرقم ٧١٩ أية مصلحة في تغيير الأرقام الواردة بالبرقية ؟! .

قال رقم ٣٢٦ :

إننى أشك فى هذا الرجل رقم ٧١٩ .. من المؤكد أنه يلعب دوراً مزدوجاً .

صاح "جيسون" :

- كلا .. إن هذا مستحيل .

- لا بل إنها الحقيقة ..إنه هو الذى ضللنى وجعلنى أتعقب رجلاً غير الذى يحمل الوثيقة .. حيث كانت "سونيا" هى التى تحملها .. وإنه هو الذى حجز لى التذكرة فى القطار رقم ٣٣١٢٣ ، فى نفس المركبة التى كان

مخططاً لها أن تنفصل من القطار فى النفق ويحدث ما حدث .

قاطعة "جيسون" قائلاً :

- معك حق .. كيف لم انتبه إلى كل هذا ؟.. هيا بنا .

* * *

على باب غرفة المهرج "نيمو" بالمسرح وقفت تلك المرأة العجوز البكماء ولم تسمح لأحد بالاقتراب منها كان الجميع يعلمون حب هذه المرأة البكماء " لنيمو" المهرج .. وقد ادعى أنها مربيته التى يتفاءل بها .

أحاط "جيسون" ورجاله بالمسرح بينما كان "نيمو" يؤدى دوره الذى تستمتع به الجماهير .. ولكنه ما كاد يرى "مايلزجيسون" ورقم ٣٢٦ حتى أدرك كل شىء .

أيقن أنه وقع فى الفخ وأن لا سبيل إلى الفرار هذه المرة .. فرجال البوليس فى كل مكان .

ولكنه لن يستسلم لهم .. سوف ينتقم .

كان الدور يقتضى أن يقتل برغوثاً وجده فى رأسه .. فأمسك بالبرغوث وصوب إليه المسدس ولكنه كان فى الحقيقة يصوبه تجاه رقم ٣٢٦ .. أما "جيسون" فقد كان يراقبه بانتباه وأدرك غرضه فجذب رقم ٣٢٦ فى اللحظة المناسبة لتمر الرصاصة من فوق رأسه .

وعندما فشلت هذه المحاولة اليائسة صوب" نيمو " المسدس إلى رأسه ثم أطلقه .. ثم سقط على الأرض والدماء الغزيرة تسيل من رأسه .

أسرع "جيسون" ورجاله إليه ولكن المرأة العجوز البكماء كانت أسرع منهم حيث ضمت رأسه الجريح إلى صدرها وراحت تنظر إليهم ثم تكلمت :

– كان يخدم وطنه .. فلتدعوه يموت بسلام .. إنه ولدى .

لم تكن المرأة بكماء .. كانت هى "بيترا" التى لم تفارقه لحظة .. أما "نيمو فقد كان هو نفسه "والتون" وهو "ديمترى ميخايلوفتش "الرئيس السابق لجهاز المخابرات السرية الروسية والذى عرف باسم الاوكرانا .

***

(تمت)



مجموعة قصص
أجاثا كريستى

* القضية المستحيلة
* النظرات القاتلة
* : رحلة إلى المجهول
* الحب الذى قتل
* جزيرة المهربين
* المؤامرة الكبرى
* الأفعى
* جريمة ممثلة
* أبواب القدر
* المتهمة البريئة
* مغامرات بوارو
* التضحية الكبرى
* جريمة فوق االسحاب
* جريمة فى العراق
* الساحرة
* اللغز المثير
* سر التوأمين
* اختطاف رئيس الوزراء
* العميل السرى
* سر الجريمة
* القضية الكبرى
* الجريمة الكاملة
* قتيل فى المترو
* ذكريات
* أدلة الجريمة
* القاتل الغامض

* الرسائل السوداء
* عدالة السماء
* المتهم الصامت
* الذئب
* شرخ فى المرآة
* زملاء الشر
* المغامر
* لغز الهاربان
* المطاردة القاتلة
* لغز أختفاء المليونير
* الضحية الثالثة
* الصوت الغامض
* القناع الزائف
* الحلم الرهيب
* رجل بلا قلب
* صرخة فى الليل
* خيوط العنكبوت
* تحدى العظماء الأربعة
* جريمة فى البحر
* المرأة الغامضة
* لغز الألغاز
* الرجل الخفى
* وجهاً لوجه
* جريمة الكوخ
* كأس السم
* الرعب القاتل

* دائرة الخطر
* الغرفة السرية
* الشبح القاتل
* رجل يتحدى بوارو
* سر المرأة المقنعة
* الجريمة المعقدة
* الرصاصة الأخيرة
* الشاهدة الوحيدة
* المأساة العجيبة
* بيت الأسرار
* شبح من الماضى
* الساحرات الثلاثة
* الوثيقة السرية
* الجريمة المزدوجة
* سر زائر الليل
* الخطة الجهنمية
* ساعة الص
* جريمة
* جزيرة
* المصيد
* جريمة ا
* أغتيال
* الزائر
* الخدعة
* أعلان
* الأنتقا

مكتبة دار الشعب
المملكة العربية السعودية
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض



مكتبة معروف
الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القاهرة : ٢٦١١٢٢٩ ص ب ٢٧٠ الإسكندرية